تأملات
في الثقافة و الشعر

(إطلالة حول مجموعة من شعراء بورسعيد)

أحمد رشاد حسانين



بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى مدينتي الجميلة التي ما زلت أحاول أن أراها تلك
القرية الكبيرة الجميلة القابعة في حضن البحر ...
دعائي خالصا أن يهبها الله الصمود ..بأصالة شعبها
وروحها المتوهجة - لمتغيرات العواصف و تقلبات
الأنواء ... أملي و كل شوقي أن أجدها متقدمة
صوب غد واعد و مستقبل مشرق بإذن الله ... إلى
بورسعيد أهدى هذا الكتاب.

أحمد رشاد حسانين
بورسعيد - ديسمبر ٢٠٠٠م

مفتتح :

نقدم لك عزيزي القارئ من خلال هذا الكتاب بعض القراءات و المتابعات الأدبية في نطاق فأعليات النشاط الثقافي في بورسعيد خاصة في مجال الإبداع الشعري .... ولقد تضمنت صفحات الكتاب محاولة للسباحة في بحر الشعر بمحافظة بورسعيد في ثلاثة فصول تناولت هذه السياحة في الفصل الأول ـ أعمالا كاملة لبعض رموز الجيل الأول من الشعراء مثل محمد فايز جلال و حامد البلاسى و محمد صالح الخولانى ، و سامح درويش و محمد سعد بيومى و السيد الخميسى ، و في الفصل الثاني عرضت أعمالا مفردة اعتمدت في متابعتها علي جهدي الشخصى فيما استطعت الحصول عليه من قصائد لمجموعة من شعراء بورسعيد المنتمين لأجيال تالية و ذلك من خلال ما ينشر في الدوريات ، و بصفة خاصة دورية " أصداف " التي يصدرها بجهد منتظم ـ فرع بورسعيد الثقافي التابع لإقليم القناة سيناء ، وهو جهد يستحق منا الإشادة و التقدير ... أما الفصل الثالث من سباحتي الشعرية فقد خصصته لقصيدة النثر الحداثية عن طريق محاورة مع ثلاثة نماذج لهذه القصيدة تمثل أصواتا لبعض اتجاهات و معالجات الحداثة الشعرية ، وقد تحكم في اختياراتي للنصوص المقروءة بصفة عامة عنصر الإمكانية و عنصر الوقت ،إمكانية المتاح من الأعمال المنشورة و الوقت الذي كنت أحاول اختطافه من خضم دوامة الحياة و مشاغلها ، وأعمال المستويين الكاملة والقصائد المفردة ، تدور كلها في نطاق الشعر الفصيح عدا رباعيات البلاسى لأن رباعياته تمثل مرحلة ناضجة من رحلته الشعرية ، و بعد فلا أزعم أنني في تناولي كنت بصدد ما يمكن وصفه " بدراسة " إبداعات ، أو الحديث عنها بتسليط أضواء " الدرس

المنهجي " أو نظريات " النقد الأدبي ، و إنما هي أولا و أخيرا لحظات تأمل و معايشة من وجهة نظر " متلق " يستقبل الإبداعات استقبال المتعامل معها بتفسيرات المتذوق وتأويلات المجتهد و بورسعيد ولله الحمد تذخر ببساتين الفن وحدائق الإبداع ، وهذا الجهد أقدمه من منطلق الحب و الاحتفاء بمبدعيها ، تعبيرا عن فرحتي بهم ، و تقديرا لإبداعهم ، والتمس لهذا - عذر القارئ في نبرة قد تتجاوز بعض الشيء لهم ، و أرجو أن أكون قد أسهمت - بجهدي المتواضع هذا في إضاءة عملية التلقي و تقديم مادة للنقاش حول الأعمال التي يتناولها هذا الكتاب ....و كلنا مدعو للإدلاء برؤيته و المساهمة بتصوره ، وهذا مبتغى الفكر الحي و الثقافة الغنية المتجددة ....وكلى أمل أن استكمل هذه المتابعات ، و استطيع بعطاء من الله - أن أغطي الساحة الشعرية في بورسعيد التي تشمل سائر شعراء الفصحى ومن بعدهم فرسان و شعراء العامية والله ولى العون و التوفيق

المؤلف

بورسعيد - ديسمبر ٢٠٠٠م

الفصل الأول
عقود من اللآلىء

١- عقود من اللآلىء

مدخل :

هذه مجموعة من عقود الدر المنظوم ،مستجلبة من محار دواوين شعراء الجيل البورسعيدى الأول ، ومن تبعه من اسماء أجادت و كان لها فضل التعريف بالصوت الشعرى البورسعيدى و تقديمة لمحافلنا الأدبية من خلال النشر او مناسبات و فعاليات كثيرة و متعددة ، امتدت منذ أربعينات القرن العشرين حتى
وقتنا هذا و مازال شعراء هذه المجموعة سائرين علي درب العطاء ومازالوا يضخون مزيدا من دماء العافية و الحيوية لتيار الإبداع الشعري و ملهمين لجيل الشعراء الشباب ـ جرأة الكتابة ، و محاولات التجديد و التعبير في أعمالهم الجيدة عن اشكالات عصرهم و همومهم الخاصة وقد يمثل كل ديوان من دواوين هؤلاء الشعراء مدرسة شعرية لها ملامحها العامة التى تميزها ضمن المدارس الشعرية المعروفة ، ألا أننا لا نستطيع أن نتعامل مع تجاربهم المتنوعة بتصنيف قاطع و محدد ذلك لأن قصائدهم تكاد تكون مرت بكل تجارب هذه المدارس وتعاملت مع قوالبها ابتداء بالشعر العمودى وانتهاء بالسطر الشعرى و اعتقد أنه ولى ذلك الزمن الذى كان فيه النقاد و الدارسون يصنفون المبدعين و الكتاب و يتعاملون معهم بصرامة المدرسية و تحديدات المذهبية لأن فضاءات عالم الإبداع تظل أرحب من التحديد و أشد اتساعا من مجرد التصنيف ، ويظل كذلك كل ما هو إنسانى و ينتمى لمعاناه الإبداع الحقيقي هو الأمر الثابت الدائم و أزعم أن هذا ما تعكسه كثير من قصائد هذه الدواوين وقد يضطر المرء للتصنيف الأدبي تحت ظروف التوضيح أو التقريب أو عند الحديث عن المؤثرات التاريخية و الأدبية ، ولقد لمحت هذا العنصر الإنسانى في تجارب كل من فايز جلال و البلاسى ومن بعدهما الخولانى وسامح

درويش و بيومى و الخميسي ... العنصر الإنسانى فى أفراحه وأتراحه ، احباطاته واستشرافاته ، يأسه وطموحه ونحاول في هذه الصفحات أن نصحب " الإنسان " و نعايش هذه التجارب المعبرة عنه والموقعة بصوته .

أ - من " أعماق " محمد فايز جلال

محمد فايز جلال شاعر عصامى من مواليد ١٩١٠/١١/١٦ م ، حياته صفحات طوال من المثابرة و الإصرار بغية مواصلة عطاء الفن و استمرارية صوت الفنان - منذ أربعينيات القرن العشرين راسل جريدة " منير الشرق " لصاحبها الشاعر المعروف علي الغاياتى و كتب في المقال و القصة و الشعر كما افسح الشاعر خليل جرجس صاحب مجلة " صوت الشرق " - مكانا يختضن أشعاره منذ عام ١٩٥٦ وحتى أوائل الستينات من القرن العشرين وعلى كثرة ما تقلب على فايز جلال من ألوان المعاناة وتصاريف المحن إلا أنه ظل مخلصا لفنه عاشقا للشعر ... جمع محمد فايز جلال أشعاره ما نشر منها ومالم ينشر - فى ديوان " فايز " الذى ضم معظم إنتاجه الشعرى وكان بين الأونة والأخرى يقوم بنشر مختارات من هذا الديوان فى أعداد محدودة منسوخة بخط اليد يقوم بتصويرها ثم نشرها وتوزيعها بلا مقابل على إخوانه ومحبيه ... قرأت لمحمد جلال إحدى هذه النسخ المصورة التى تحمل عنوان " من الأعماق .. مختارات من شعر فايز جلال " ، وأسجل هنا مجموعة من الهوامش كانت نتاج لحظات بين قصائد هذه المجموعة وأبدأ بقصيدة بعنوان " مستكشف " يقول فيها محمد جلال

مستكشف " ضل الطريق
فقد (البصيلة) والرفيق
يسعى به التيار كيف
يشاء فى البحر العميق
ولرب خالف ذلك التيار
فى كشف مشوق
أسرار هذا الكون
تلفحه بشوق كالحريق ص٥

إن مقطوعة فايز جلال هذه تستكشف وتتأمل ، وتنطق بالحيرة والوحدة و ها هو الشاعر يقف أمام ظواهر الكون وأسراره فى شوق جارف لرفع الحجب وفك الطلاسم ولكنه

لايعود إلا بلافح شوقه وحزن الحيرة الدفين انه يردد فى قصيدة " شجن " :

أرى العصا فى يد الليالى
تهزها دائما لمثلى
أهيم فى عالم غريب
كأنه لم يكن لأجلى
أبنى رمالا من الآمانى
فيهدم البحر ما أعلى
أبكى إذا ما بكى شتاء
ملاعبى والصبا المولى ص٦

إن شعورا واضحا من الحزن وأحاسيس الوحدة نلمحها فى قصائد الشاعر .... انظر إلى توالى الفعل المضارع وهو يستحضر هذه المشاعر ويملآ بها حياة الشاعر ثم هذه المفردات التى توحى بوحدته وحزنه البالغ مثل :" العصا - غريب - رمالا- شتاء " ويبدو أن هذه القصيدة تنتمى إلى مرحلة متقدمة فهو يقول :

" الصبا المولى " ولم يعبر عنه بالفعل الماضى ، واعتقد أن استحضار الوحدة والحزن بهذه الكثافة والتجدد ربما لا يوازيه البكاء فى الشتاء فقط ! بل فى كل الأوقات إلا إذا كانت هذه المشاعر قرينة الشتاء بصفة خاصة ..

على أى حال فنحن فى إطار شاعر احتواه وغيره من شعراء جيله تيار المد الرومانسى أنذاك وفى إطار هذا الملمح العام نجد الشاعر أقرب الى شعراء الديوان والذى كان شعرهم تعبيرا عن تأملات ونظرات للنفس الإنسانية ، وتجاربهم متطلعة إلى مثل عليا مجاوزة واقعها وهاربة منه مع امتزاجها بنزعة من الآلم والتشاؤم وإذا كانت تجارب هؤلاء الشعراء ومنهم شاعرنا - احتوت مضامين تثور وتحتج على تراث المدرسة الكلاسيكية فقد كانت قوالبهم الشعرية أيضا تعبيرا عن ضجرهم من قيود الشكل العمودى للقصيدة ومثلما

كانوا يحملون على شعر المناسبات والمحاكاة كانوا ايضا يتوسلون بالشعر المرسل أو شعر المقطوعات يمارسون تحررا ما من قيود القافية ، والمقطوعات الشعرية كانت أكثر القوالب استخداما والشكل المفضل لشاعرنا مع التزامه ببحور الشعر العربى والدوران فى مدارات أفلاكه .. يقول الشاعر فى قصيدة " سياحة " :

خذ بيدى الى نعيم الراحة
ودلنى على طريق الواحة
وطيب يا أخى بها جراحتى
عانيت ما عانيت من سياحتى
لم يجد فى علمى ولا فصاحتى
بنفحة الحب والاطمئنان
ومطمح الأنفس والابدان
ومهبط الإلهام للفنان
وغاية التائه والحيران
أمدد يديك للشقى العانى ٨

وتحت عنوان " فى شتاء " نكاد نلمح طيف مطران رائد الرومانسيين يتبدى من خلال أبيات القصيدة:

الشمس غابت والعواصف هوج
والبحر يهدر هائجا ويموج
والريح تعوى كالذئاب ينوشها
جوع وفرط شراهة فتهج
والسحب تذرف أدمعا مقرورة
فيعود قلبى لاعج ونشيج ص ٢١

إن هذه المقطوعة تستدعى على الفور قصيدة " المساء " لمطران .. إلا أن سطرها الآخير يعانى قلقا فهل كان من الآوفق ان نستخدم مثلا (يملأ أو يزور) بدلا من (يعود) ؟ ثم إن لفظ " يعود " سيضطرنا إلي اعتبار " لاعج " و " نشيج " مفردتين منصوبتين (حال) هذا على

افتراض أن الشاعر استخدم " نشيج " كصفة مشبهة باسم الفاعل " ناشج " .. وخلاصة القول فى تجارب فايزجلال فى هذه المجموعة من القصائد ـ أنه من الآجدى ادراكا وتذوقا ـ أن نتعامل معها على ضوء ظروف عصرها والموقف الشعرى العام لذلك العصر حتى نستطيع أن نقف على قيمة لصوت شعرى انضم إلى قافلة الرومانسيين ، فلم تحرم بورسعيد أن يمثلها أكثر من مشارك فى اسهاماتهم ، وقد يجد المرء صعوبة فى الحديث عن فايز جلال مقارنة بصوت شعري بورسعيدى يعتبر أحد المؤسسين البارزين لجماعة الديوان وهو الشاعر عبد الرحمن شكرى (١٨٨٦ ـ ١٩٥٨) .. ولكن حسب محمد فايز جلال أن يعلن عن تواجد بورسعيد فى ساحة المشهد الشعرى أنذاك ، هذا التواجد الذى عبر إليه ساعيا على درب من المكابدات والمحن أهونها عصامتيه التى تطلبت منه انشغالا بطلب أسباب العيش عن نيل قسط من التعليم وأكثرها ألما .. أن نجحد أو نتجاهل شاعرا مخلصا أحب الفن موسيقى و تصويرا وعشق الشعر أداة وتعبيرا .

ب- مع " البلاسى " فى رباعياته

أنا مش بنى ، ولاكنت يوم فيلسوف..
ولاكنت عراف يقرا خط الكفوف..
لكنى إنسان جاى ، وجايب معايا ..
من بورسعيد حزن البشر والظروف !

من رباعيات " خيام مصرى " لحامد البلاسى

حين تذكر الرباعيات ، يذكر معها اسم الشاعر الفارسى (عمر الخيام ١٠٤٠-١١٢٣)م وقد عرفت الأوساط الأدبية فى مصر الشاعر وفنه ـ بعد ترجمات أحمد رامى لرباعياته ونشرها إثر عودته من باريس عام ١٩٢٤م .. والقالب الشعرى للرباعية يتكون من أربعة أبيات يتفق ثلاثة منها فى حرف الروى وحركته ، وهى الأبيات الأول والثانى والرابع ، أما البيت الثالث فهو حر (غير مقفى) ، ويقوم البيتان الأوليان فى نظام بناء قالب الرباعية ـ بدور طرح مقدمات وبدايات ، والبيت الثالث يقوم بدور وسيط- مابين تكملة للمقدمات وتهيئة لنتيجة مفاجئة وغير متوقعة يأتى بها البيت الرابع مختتما هذا القالب الشعرى ، جاليا معه الحكمة و الدهشة معا ... ومن حيث المضمون ، فقد استقر في وجدان البيئة الأدبية و لفترة من الزمن ـ أن الرباعية وكما وردت عن مبدعها " الخيامى " الشهير ـ تتناول بصفة أساسية -رؤية ذات فلسفة خاصة ، تدور في إطار من التشاؤم الشديد إزاء فكرة الوجود و العدم ، مع دعوة عريضة ، عالية النبرة إلى التمتع بكل ملذات الحياة لأنها صائرة حتما إلي زوال ، و تعترى هذه الرؤية وقفات من الندم و لحظات من رجاء العفو و التماس المغفرة ... وقد أكدت رباعيات " صلاح جاهين " التى نشرها عام ١٩٦٣

هذا النهج و إن تضمنت بعض المواقف و المناسبات الخاصة بالممارسات الحياتية للشاعر و نتيجة ما حققته رباعيات الخيام من أصداء و كذلك ما أحرزه جاهين من نجاح قد يفسر لنا نوعا من الجماهيرية تمتعت به الرباعيات .. لقد كانت نوعا من الفن الشعرى يلبي كل الحاجات و المستويات خاصة و انها مكتوبة بالعامية ...إن قالبها يتضمن رؤية الفيلسوف ، وحكمة المتأمل ، ووجدان الشاعر ، وحيرة المفكر القلق ومباهج المحب لملذات الحياة ، و فيها فضلا عن هذا إشباع للنازع الدينى الفطرى بما تعطيه من دعوات ، وما فيها من التماسات التوبة لمذنب آيب ، أو رجاء عفو لمفرط عاص ..... إنها نوع من الفن الإنسانى .....ولقد أغرت هذه النجاحات كثيرا من الشعراء ، فخاضوا تجربتها ، و استثمروا قالبها في إطلاق التعبير الشعرى وليد اللحظة ، ومنهم شاعرنا حامد البلاسي (١٩٢٤ ـ ١٩٩٩) و يجمع البلاسى رباعياته التى كتبها ونشر بعضا منها على أوقات متفرقة ، و يصدرها عام ١٩٩٧ في ديوان " رباعيات خيام مصرى " و أحسب أننى رأيته في هذه الرباعيات ـ متقدما خطوات حين نحى ذاتية صوته و غنائيته المعهودة أحيانا و أفسح لرباعياته مزيدا من المضامين و الموضوعات وجعل من غالبيتها مجالا خصبا للتعبير عن هموم البسطاء وزفرات المهمشين ....أن قارىء رباعيات البلاسى لايستطيع بأي حال أن يفصل حرارة ما فيها من نفس الشاعر - عن واقع معاش ينتظم الشاعر و الأخرين ... وهذا ما يجعلنى أتعامل مع ديوان رباعيات خيام مصر من خلال هذه الرؤية الثرية ذات الأبعاد المتعددة ..لقد ريت البلاسي في رباعية من بدايات ديوانه ـ يعرف نفسه و يقدم هوية فنه من خلال هموم الغالبية :

انا مش من الناس اللى ساكنين فوق ....

لكنى م الطين الرخيص مخلوق..............

اعمامى كاموا صيادين في البحيرة......... !
و ابويا كان بتاع عذاب في السوق ...! ص ٤
ويعلن الشاعر عن قوة وشائج هذا الانتماء و تجذره فى كيانه و كأنه قدر مسطور :

مكتوب علي إنى اعتنق دين وملة
دين الغلابه المطحونين الاذله
مكتوب علي أموت ألف مره
علشان تعيشي يا مصر محراب وقبله ص٤٢

وشاعرنا بورسعيدى ، الوطنية أبرز مكونات كيانه وهى حالة ملازمة له في كل أوقاته و تقلباته ولذا وجدنا رباعياته تعزف كثيرا لحن الوطن :

ساعات انام جنب حفره
وساعات انام جوا قصر
لكنى في كل مرة
عاشق و مغرم بمصر !

وصورة الوطن في وجدان الشاعر تكونت من مفردات تراب الارض وملامح الأنسان :

ضفرت من خوص النخيل احساسى
وزرعت في النيل المسافر كاسى
انا نوبي من أرض الجنوب الصابرة
الارض سجادتى ...و عبايتى...و فاسى !

إنه يفتخر بالبسطاء ، و يؤكد اعتزازه بفلاح الدلتا مثلما يعتز بابن الصعيد ، و الانتماء عنده ليس شعارات مطلقة أو خطبا مرسلة ، إنما هو شعور يتكون و يكبر بالأخذ و العطاء:

فلاح انا .... وزراع طينى
والنيل بياخد منى ... وبيعطيتى
عالي كما راس المقطم عالية

لكن ايدين القهر بتوطينى !
ولا تنفصل قضية الوطن و الانتماء اليه ـ إنسانا و ترابا ـ عن الحرية و اعتناقها حياة وقيمة و مبدأ :

ساكن فى جحر .... فى عشه ....في زقاق عجوز
اللقمة اكلها بدقة و اشرب فى كوز
لكنى أغنى من الملوك كلهم
لأنى حر ... إرادتى هى الكنوز

والمعتنق للحرية ذاتا ووطنا يأبي أدنى قيد يقيدها وفي عقيدته الحرة ـ أن كل من زرع خوفا أو قهرا وكمم الأفواه ـ إنما هو عدو لدود :

عاشق أنا للعدل والمرحمه
واكره أشواف الخلق مستسلمه
واكره طقوس الظلم حتى إن قالوا لي
إن اللى أفتى بيه ملاك م السما

ويمضى الشاعر مستنيرا بعقيدته ، مصححا لمفاهيم العداوة والمحبة إيقاظا للغافلين وتبينها للمخدوعين :

المعتدين مش جيش وزحف وحشود
مش طيارات .. مش دبابات .. مش بارود
المعتدين هما .. اللى ذلوا البشر
وأكلونا العيش مغمس بدود

قد يتحمل الشاعر ضيق العيش ، ويلعق صبره على مضض ، ولكنه كابن مخلص للحرية لا يتحمل مقالة زيف أو دعوة ظلم :

مكتوب عليا الصبر والصبر موت
الصبر أضيق من خيوط العنكبوت
استحمله واستحمل القهر فيه
لكنى ما استحملش لحظة سكوت !

ولهذا نراه يطلق فى وجه الظالمين صرخة مدوية يودعها كل الآلآم والمعاناة:

طحنونا زى القمح زى الدره
فى وابور طحين المحنة والمجزرة
بندور كدورة الساقية من غير نهاية
ونمشى قدام خطوة واثنين ورا

وذات يوم خيم ظلام القهر والتنكيل على حياتنا ، وتنفست من أجوائه أشجار المذلة الكريهة ، طلعها كأنه رؤوس الشياطين .. وتحول الوطن الي سجن كبير ملأ الخوف أرجائه وعشش فى شقوق جدرانه ، ونال من سلام النفوس وأمنها وتمكن منها حتى أنها لتراه فى خيوط العنكبوت على ما فيها من وهن :-

عفريت طلع لى فى الظلام خفت موت
مشيت .. مشى معايا .. حضنا السكوت
سرخت قال متخفشى .. أنا مش غريب
مديت له إيدى .. لقيته خيط عنكبوت !

هكذا يفعل "وحش" الخوف بالإنسان إنه يقتل فيه الأمن والفرحة ويعذبه بتوجساته ويطارده بأوهامه .. إن الشاعر لايتوانى عن إدانة التسلط والحملة على حكم الفرد ويعلن وبشجاعة نادرة عن انتماءه السياسى دون خوف أو مواربة

فى كل جيل تطلع لنا أمة حره
وفي كل موسم تولد الأرض زهره
لكن أنت رمز الأزمنة كلها
"يا سعد باشا" يانبى كل ثوره !

لامفر إذن من التصدى للظلم فهو أصل كل الشرور ولامناص من مواجهة تتطلب شحذ الهمم ، و وعبور الألم ، وتمزيق ثوب الخوف والقهر :

الساعة دقت .. قوم بقى من نومك
قوم يا ابن طين الأرض عض همومك
قوم واقلع التوب القديم البالى
والبس زنير العزم .. جوه هدومك !

وفى أعقاب الهزيمة النكراء فى العام السابع والستين لايتألم الشاعر لواقعة الهزيمة- لثقته فى معدن المصريين ـ بقدر ما يتألم لدواعيها ونتائجها الوخيمة :

اطلع علينا يا صلاح الدين
حارب بسيفك جيش عدو الدين
احنا انهزمنا فى معارك شتى
واكبر هزايمنا الركوع والدين !

وإذ يمارس الشاعر تفعيل الكلمة بإثارة الوعى وإعلان الأدانه والرفض فإنه أيضا يفتح بها نوافذ النور وآفاق الحلم :

باحلم بفدان أرض أملك حصاده
بحلم بأب جديد يكون هو أبويا
عادل .. أمين .. مؤمن .. أكون امتداده !

لقد حاولت أن اسمع البلاسى فى هذه المجموعة التى أوردتها من رباعياته ـ صوتا ممزوجا بصوت "الكورس" وبالرغم من هذا ، فإن روح البلاسى تطل من بين صفحات الديوان ، بكل ما فيها من ألفة وحلاوة معشر وخفة ظل فها هو يسخر من أصحاب الأصوات "الحنجورية" ، ويتهكم على لسان أحدهم قائــلا :-

ناضلت من أجل مبدأ
وحاربت لكن بريشتى
وقبل ما الحرب تبدأ
هربت لا الدنيا تشتى !

ونحن لا نعدم أيضا ألحان الغزل التى اشتهر بها ، وغزواته الغزلية بمستوييها : الصريح والعفيف ، ولاغرو فهو فارس هذا المضمار الذى لا يشق له غبار :

ركبت ريح المنايا
وهزمت موج الكأبة
وضعفت قدام ملاية

وعيون تنقط صباية !

وقليل من رباعياته نتشم منها رائحة صلاح جاهين فرباعية "مكتوب عليا الصبر" تكاد تكون متأثرة برباعية جاهين "يا عندليب" والتى يقول فيها :

يا عندليب ماتخافش من غنوتك
قول شكوتك واحكى على بلوتك
الغنوة مش حا تموتك إنما
كتم الغنا هو اللى ح يموتك
عجبــى!

ورباعية البلاسى "عفريت طلع فى الظلام" ، فيها تصرف بارع لفكرة جاهين فى رباعية "سهير ليالي":

سهير ليالي ويايا لفيت وطفت
وفى ليلة راجع فى الظلام قمت شفت
الخوف.. كأنه كلب سد الطريق
وكنت عاوز أقتله .. بس خفت
عجبــى !

وتفرض البيئة البورسعيديه حضورها فى بعض الرباعيات كما فى رباعية "أنا كنت فى بحر الجميل صياد " ورباعية " من رحلة السردين وصبره الخيالى " ...

وربما أراد الشاعر أحيانا أن يتخفف من رتابة قالب الرباعية المتكرر فنراه متصرفا بعض الشىء فى قوافيها كما فى رباعية "مستكترين الخير على ورباعية "أرفض بشدة " ورباعية مريت على بيت الحايب" .. وهكذا مع رباعيات البلاسى نعيش حالات من التنوع والثراء .. وأختم تأملاتى فى رباعيات البلاسى بهذا المشهد الإيمانى ، والنفثة الروحانية الخالصة والتى يقول فيها :

فى الكعبة صليت جنب بابها وبكيت
مديت إيديا استجدى حتى استويت

مدوا الأدين أهل الكرم قلت لأ
أنا باشحت التوبة .. وللتوبة جيت

رحم الله البلاسى ـ طبيب الأرواح والأبدان ـ كان شاعرا إنسانا ، اتسع قلبه للجميع وكان "دكانه" فى التجارى ـ واحة يتفيأ ظلها المتعبون وحين اختلف الناس فى كثير من أحوالهم وأمورهم ، إلا أنهم اتفقوا جميعا على شىء واحد ، ألا وهو حب حامد البلاسى .

جـ من الشعر المسرحى
"أيام الدم بورسعيد ٥٦"

لمحمد صالح الخولانى

أحسست وأنا أعيش بين مشاهد هذه المسرحية الشعرية ـ أن نداء قويا وملحا ـ كان يسيطر على فكر الخولانى ومشاعره ، وهذا النداء الملح يمكن تلخيصه فى أمنية غالية وهى "تخليد ذكرى ٥٦" ـ تخليدا يليق بتضحيات الشهداء وبعطاء بورسعيد الذى دفعت به رافدا غنيا من روافد نهر زاخر ومتدفق هو "كفاح" مصر وشعبها المعطاء..... إن بورسعيد سطرت صفحة ناصعة من صفحات تاريخ مصر الحديث حين تصدى أبناؤها نيابة عن شعب مصر ، وفى لحظة تاريخية فارقة لعدوان دولتين تحظيان بجيشين من الجيوش المعدودة فى ذلك الوقت تدريبا وتنظيما وتسليحا ، تؤازرهما من الخلف عصابات صهيون ومغامروها - تطعن ظهر مصر متسللة عبر سيناء ، عسى أن يحققوا بعض أحلامهم فى التوسع ويوطدوا أركان دولة الباطل التى أعلنوا عن قيامها عام ١٩٤٨م.

إن ثلة من الهواجس والهموم الثقيلة كانت تؤرق بال مؤلف هذه المسرحية الشعرية جراء مجموعة من الأسئلة أحاول من خلال قرأتى للمسرحية أن اطرحها مجتهدا :

أولا : ما جدوى احتفال يقام ثم ينفض يوم ٢٣ ديسمبر من كل عام ويمر على عامة الناس وخاصتهم مرور الكرام ؟

ثانيا : هل يمكن مع مضى السنين أن تتآكل ذاكرة بورسعيد وذاكرة الآمة إزاء كفاح هذا الشعب ضد عدوان شرس وهو كفاح ـ أجدر بأن يخلد وأحق أن يتمتع بدوام الاستمرارية والحضور ؟

ثالثا : هل ثمة جهد مخلص أو مبادرات إنصاف لأرواح هؤلاء الشهداء بأن نخلد ذكراهم ، ويظل إلهامهم يشع من خلال مشروع حضارى وثقافى كبير ؟
رابعا : هل يمكن أن نقوم بتكريم الشهداء من خلال أبنائهم وأحفادهم فتمتد آيادينا لهم فى تقدير وعرفان لتنتشل الكثير منهم من وهاد الفقر ومعاناه أزمات الإسكان والبطالةومتطلبات المعيشة اليومية التى تطحنهم طحن الرحى ؟
خامسا : أما آن لنا - أن نتحلى بالحياء المطلوب وشىء من كرم النفس واعتزازها فنتصدى لمنطق زمن الدولار والمنطقة الحرة ونمنع جريمة المزايدة بشهدائنا ، والإتجار بأعز ذكرياتنا حين يحاول البعض أو يفكر فى إدخالهم جحيم دائرة المنفعة والاستثمار بإقامة فنادق أو مشروعات سياحية على أشلاء مقابرهم وأطلال نصبهم التذكارية ، إن كان لهم نصب !؟

اعتقد أن هذه الهموم والهواجس لم تكن تعتمل فى نفس الخولانى فحسب بل داخل نفوس المخلصين من أبناء هذا البلد أيضا .. لكن الخولانى استطاع أن يجرد قلمة وشعره ليساهم بعمل رائد فى صنع منظومة حضارية متكاملة لتخليد عطاءات بورسعيد وشعبها إن هذا العمل إنما هو "لبنة" ثقافية أولى أرجو أن تكون مصدر تحفيز وإشارة بدء .

وبالنسبة للعمل نفسه فقد اعتمد الشاعر فى بناء التطور الدرامى لمسرحيته على تسعة مشاهد كونت مائة صفحة من القطع الصغير تقريبا ولم يتواصل فيها العنصر الزمنى الواحد المتتابع ، وإنما كسر الشاعر جدار الجمود الزمنى ، فقد تداخلت الأزمنة عبر المشاهد لتجسم بورسعيد ٥٦- بكل تفصيلاتها أمام القارىء .. أما الشخصيات فقد قسمها قسمين قسم منها من جيل مخضرم عاصر الأحداث قديمها وجديدها ويضم شخصيات ذات اتجاهات ورؤى متباينة

ويمثله أعضاء لجنة إحياء ذكرى ٥٦ والقسم الآخر من الشخصيات يمثله شباب بورسعيد المجاهد من جيل ٥٦ ، المستدعى بطريقة المونتاج السينمائى .. وتأتى بعد ذلك شخصية الراوى .. ويدور الصراع فى المسرحية بصفة جوهرية بين شخصيات القسم الأول (لجنة إحياء الذكرى) وتضم : السيد (أموح القرش) من كبار تجار المنطقة الحرة ، ومجاهد قديم ، ومفكر ، وأم شهيد (ناظرة ابتدائى متقاعدة) ، والسيد (مرسى الدباش) مقاول مبان ..
ومحور الصراع يتمثل فى مواجهة المجاهد والمفكر وأم الشهيد لمحاولات السيدين الثريين ـ احتواء أعضاء اللجنة ، وطرح مقترحات لإحياء الذكرى تلتقى مع مصالحهم الخاصة ، وتحقق لهم مزيدا من طموحات الثراء خاصة وأنهما ينتميان لفئة من مغامرى عصر الانفتاح والمنطقة الحرة .. وتتبلور مقترحاتهما فى إقامة فنادق ومزارات شبه سياحية تدر دخولا أو بناء مشروع إسكانى كبير للشباب باسم الشهداء ـ ترسى عطاءاته على (مرسى الدباش) مقاول المبانى ليلهف من واءه الملايين .. وتكون المواجهة الحادة بين الطرفين يتعاهد فيها المجاهد القديم والمفكر والأم على الصمود ، وإجهاض محاولات الطفيلين ، والإصرار على استلهام كفاح البلد وتخليد ذكرى شهدائها بما يليق بتضحياتهم .
أما القسم الآخر من الشخصيات فهم مجموعة من شباب بورسعيد الفدائى يمثلون تقريبا معظم الاتجاهات السياسية السائدة فى ذلك الوقت من منتصف الخمسينات وهم :
محمود السعدى (مدرس تاريخ وشاعر) ، سعاد السعدى (خريجة جامعة ، خطيبته وابنة عمه) ، حسان (عامل) سيد (طالب جامعى) ومختار (محامى شاب) .. وعندما يقع العدوان تنسى هذه المجموعة خلفاتها وانتماءاتها السياسية ، وينصهرون جميعا فى بوتقة التضحية والفداء

ويسقط لبعض منهم جريحا أو أسيرا أو شهيدا فى حومة الوغى .
وثمة صراع أخر أشد احتداما بين هذه المجموعة من الشخصيات ورموز الخيانة والتخاذل من جهة وقوى البغى والعدوان من جهة أخرى ، وينتهى الصراع بانتصار المدينة الباسلة صانعا لحظة كشف بإعلاء قيم الحرية والانتماء تلتقى خيوط أنوارها مع موقف شخصيات القسم الأول حين يتعاهدون على الوفاء لذكرى الشهداء عند مكان له مغزاه ودلالاته ، وهو " مقابر شهداء بورسعيد " فى الجميل .
أما الحوار فقد استغله المؤلف أداة لتنامى الصراع والتعبير عن الشخصيات وتباين مواقفها ومصالحها ،كما استغله أداة هامة لاستدعاء كفاح بورسعيد ورموزها من الآبطال والشهداء ، ويغلب على الحوار أسلوب الوصف السردى وخاصة حين كانت تأتى حكايات ملاحم البطولة على ألسنة شخصيات المجموعة الثانية ولهذا كانت معظم جمل الحوار ـ مقطوعات شعرية مسهبة ، خفف من رتابتها وتشابهها أحيانا ـ كونها مشحونة بالمجازات والصور ذات الإيقاع الساخن المدفوع بدرامية اللحظة الموصوفة وقد تبادر الى ذهنى سؤال حول جدوى شخصية الروى وهل كانت شخصيته ترمز للتاريخ ؟ أم أنها تعبر عن صوت المؤلف ؟ خاصة وقد رأيناها تتصدر المشاهد الآربعة الآولى ، وتقوم بعملية تهيئة للمتلقى ، وإعداد مسرح عمليات المشهد ، واعتقد أنها كانت تمثل شخصية المؤلف ، فالراوى فى مطلع المشهد الآول وخلال مقاطع طويلة ـ كشف منذ البداية عن مغزى العمل وقيمته التاريخية والآخلاقية فقد جاء على لسانه :

يا سادة
شىء مطلوب بين الحين وبين الحين
أن نتحاور والتاريخ

أن ننصت له
أن نستجليه ألق اللحظة
كما يعطينا إيقاع الحدث الأول
يبسط قدام القلب موائده الملآى بكنوز الله
يوسعنا فهما للأشياء
حتى نعتنق دلالات الأزمنة الأولى
نتفيؤها نسمات .. ظلا
أو نستدنيها وهجا
يدفيء فنيا التذكار ويشعل فينا جمر الرغبة
الرغبة فى أن يصحبنا فى سفر العمر

وهذه الغاية كان يمكن أن نقف عليها وبصورة أكثر تأثيرا من خلال تفاعل الشخصيات والأحداث ، خاصة وأن المؤلف نجح فعلا فى انتقالاته و استطاع بالحوار وتجسيدات الصور الشعرية أن يجعلنا فى قلب الأحداث ، ونكاد نشاهد شباب بورسعيد وهم يواجهون الموت فى كل مكان بكل شجاعة .

ومن حيث أسلوب النص ـ فكما عهدنا الخولانى ، ينتج نصا له رصانته الفكرية واللغويه وأزعم أننى ألمح تطورا فى البعد الصوتى لأشعاره ، إذ يعتمد هنا على بلاغة الصورة الشعرية المتوترة ، النابضة أكثر من اعتماده بكثير على موسيقى التفعيلات ، ويميل إلى عدم الالتزام بطول ما للسطر الشعرى ليفسح لدفقاته الفكرية و الشعورية المجال ، كما تكثر فى النص معالجات أسلوبية تستحق الإشادة ما بين انتقاء اللفظ ذى الطاقة الدلالية ، وصياغة التراكيب المتنوعة ، وإحكام نسج العبارة ورسم تشكيلات اللوحة الشعرية الكاملة.

إننا إزاء عمل يكاد يميل لاستخدام عناصر المسرح التقليدى ، ولكن يحسب له أنه أول عمل واف استطاع أن يخلد فنيا ـ لحظة انتصار (بورسعيد ٥٦) فأغنانا عن مئات من المقالات والدراسات ، وأجاب عن الأسئلة التى ألحت علينا

وعليه قبل ميلاد العمل ، ولم يترك اسما أوحيا أو شارعا فى بورسعيد ـ كان له نصيب من شرف المشاركة ـ إلا وأمده بدماء الحياة ، وأعاد إليه صورته الأولى حين امتزج المكان بالإنسان أيام الدم .. أيام بورسعيد ٥٦ التى عاشتها بروحها الأصلية وابنائها المخلصين ، الذين ما نضب عطاؤهم يوما سلما أو حربا .

د- " تأملات فى ديوان رحلة آدم"

للشاعر : محمد سعد بيومى

يعتبر محمد سعد بيومى من الأصوات الشعرية المميزة في إقليم القناة وسيناء وقد نشرت كثير من قصائده في دوريات عدة مصرية وعربية ، وكذا عبر اثير الإذاعة وقناة التلفزيون الرابعة ، وقد آثرت أن أتامل الملامح الأساسية التي تميز شعر بيومي من خلال ديوانه "رحلة آدم" الذى يجمع كما مناسبا من انتاج بيومى الشعري من جانب ويعتبر ممثلا لمرحلة النضج الشعري ذي الرؤية والآداة من جانب أخر .. وهذا الديوان كان قد صدر في مطاع الثمانينات من القطع الصغير عن دار أتون للنشر .... وآدم الذي نرتحل معه ـ عبر قصائد بيومى ـ هو "الإنسان" إنسان هذا العصر بكل همومه وإشكالاته ، والذى صار القاسم المشترك لكل الآصوات الشعرية من ذوى الحساسية والآصالة ، ومن خلال معايشة قصائد الديوان والابحار خلال أمواجه ذات التوتر والتتابع القانص للهم الجمعى من خلال الذات الشاعرية الواعية نستطيع أن نحدد عناصر ثلاثة ميزت خطاب بيومى الشعري وهي :

١- النزعة الإنسانية

حيث يتجاوز الشاعر مغاليق الذاتية المتقوقعة حول نفسها سواء أكانت "غنائية" سكري بأحلامها الوردية أو ساعية لإشباع حاجات وطموحات خاصة أم كانت "مرثية" علي ذات محطمة تستعذب الآلم وتجد خلاصها في عالم اليأس وظلام العدم .... إن الشاعر يقف بووضوح علي الجانب المقابل لهذه الذاتية سلبية الروٴى.

٢- البيئة البورسعيدية الساحلية :-

التى تشكل أساس الوجدان و المعجم الشعرى لشعراء السواحل عامة وبورسعيد بصفة خاصة فضلا عن معطيات بورسعيد موقعا ونضالا و إنسانا يحمل سمات الثغرو ملامحه .

٣- موهبة الشاعر و تمرسه في استخدام ادواته :- و تشكيلاته الشعرية استخداما يوازن بين متطلبات الرؤية الفنية من جهة و إثارة فاعلية المتلقى فى مناطق وعيه ووجدانه من ناحية اخرى ... ومن مظاهر هذا العنصر الثالث ما لاحظناه من

أ- قوة الحس الدرامي و تصاعده :

فى قصائد مثل (الصوت الآخر - دراما شعرية - الامنتهى و تساؤلات أخرى - الطيور المتوحشة)

ب- اتساع التجربة الانسانية :-

في قصائد مثل (القدس - عصا موسى - رحلة ادم)

جـ - نبرة التفاؤل الآمل

كما في قصائد (جزيرة الحب - حبيبتى - محطة الوصول)

د- التوظيف الفنى للأسطورة أو التراث عبر نسيج القصيدة ورؤاها . .... إن الحس الدرامى البارز في أغلب قصائد الديوان ينبع عند بيومى من درامية الوجود الإنسانى ذاته ، ومن صراع الإنسان العادى ضد اللا خير و اللاحياة أى ضد اعداء الحياة الذين ما ونت جهودهم و محاولاتهم الشرسة لتشوية صورة الوجود الإنسانى بممارسات الأنانية و التسلط و القمع - تلك القوى التى بدت فى نظر الشاعر :

كثعابين الموت يخنق كل منهم غصا
كجراد الرمضاء يطوق كل منهم عضوا فينا
وانا و انت نكابد في صمت ما يفعل قابيل
وننضح حزنا

لقد سرى هذا الصراع عبر وجدان الشاعر ورؤيته ذات الشمولية فعكس مضمونا شديد التوتر و الانفعال بموسيقا وصور شعرية ذات دلالات وليس هناك انسب للتعبير عن الصراع و ديناميكية الوجود الإنسانى سوى هذا القالب الدرامى الذى اتشحت به معظم قصائد الديوان ..... وعندما يصيغ شاعرنا دراما الانسان نراه يتحول فى الزمان من اللحظة الآنية إلى الماضى البعيد ثم ما يلبث ان يستدير مرة اخرى فدراما الصراع الإنسانى تظل بطبيعتها متواصلة و ضاربه بجذورها فى عمق التواجد الإنسانى منذ فجر التاريخ :

فالغربان الغربان
تنهش لحم الأنسان
من قابيل إلي الآن

أن هذا الصراع القدرى ذو ثنائية (قوى الخير ضد جحافل الشر) و ألوان القمع و البغى يكاد يشمل كل الأزمنة و الأمكنة ، و معاناة الأنسان هنا هى معاناته هناك وما لاقاه هابيل هو نفس ما يلاقيه إنسان الأمس القريب و اليوم ...... و ربما كان حاضر الإنسان أحسن حالا من ماضيه الذى كان أكثر دموية و بشاعة و نجد نموذجا لذلك ماثلا أمامنا في الديوان - متمثلا في الإنسان المصرى القديم حين كانت عبقريته تبدع الحضارة و التمدن علي ضفاف النيل و تنسج للبشرية أوليات العلوم و تؤسس قواعد الدولة رغم ذلك لم تسلم من تربص قوى الشر و الهدم التى كانت تترقب ثم ما تلبث ان تنقض و سرعان ما نجد مشهدا علي التقيض تماما ، فها هى جحافل الهكسوس رمز الهدم و الشر و

الافناء لرموز الحضارة و العطاء و هجومها بالخيول و الحراب الساخنة :-

و العجـلات الساحقـة
و الشمس تسعى نحو المغيب
و نظرة الارض المصريـة
نـحو اللصوص و المهاجم الغريب
تلفظ دمعة البؤس
و عينك الساهرة المعذبة
تسعى وراء شمسك الجديدة
فوق ينـابيع الدماء

أن تلك الدماء التى سالت مخصبة لجنبات وادى النيل دفاعا عن الوجود و الحرية و الحق في الحياة ، هى نفس الدماء التى سالت نتيجة و حشية البربرة و القرصنة في كل زمان و مكان فها هى الوحشية نراها

تصحو من داحس و الغبراء
تعصف باليابس و بالسندس
و تفقأ " اللقدس " عيونا
تتدفق من جرحى " تونكين "
تترك صرعى " هيروشيما "
حتى اليوم يئنون

إنه تاريخ دام حافل بالويلات و الحروب الطاحنة التى تكاد تكون قدرا مكتوبا و كأن لا معنى للوجود الانسانى الا بها .. حروب طاحنه ليس لها معنى عند الشعراء و الفلاسفة الا العبثية و العدم ... فما معنى أن تخوض البشرية بين الآونه و الأخرى في مستنقعات من الدماء و يتجرع الآمنون المرارة و العذاب و يتحملون ضريبة نزعات السيادة و الجشع

و الاستعلاء و أوهام البطولة و ادعاءات العظمة الجوفاء ... لقد بدت الارض التى نعيش عليها :

كالزورق الذى يجنح
من حمل مثقل ـ نحو الأعماق
يستنجد نوحا كى يصنع للأسفار سفينة
يستخلف بالله ابنا عاق
" اقذف بالمثقاب لنرحل "
زورقنا يحمل الف ضغينة
زورقنا غاص بوكر رزيلة
فيه الجثة و الحكمة مقتولة
غيلة

وإذا كان لقوى الإفساد و الشر أدوارها ورموزها ـ فإن الصراع يتطلب ألا تموت المقاومة و إنما يفرض عليها ان تتماسك و تلملم قواها و تسارع بنثر بذور الخير ورى " الأرض الخراب " بدماء التضحية ... إن الرموز العاشقة للحياة و الحرية لا نجدها في قصائد بيومى تنهار مأسويا أو تختار ملاذا آمنا أو انكفاء مهزوما و إنما ـ ورغم ضراوة الصراع و اختلال توازن القوى لصالح قوى البغى و الشر ـ نجدها متشبثة بالصمود و هى علي يقين في بزوغ فجر جديد لتتواصل قدرية الصراع و ينتهى لصالح إرادة الخير و الحياة و حتى سقوط الرمز الصامد علي درب المقاومة ووسط ساحات الصراع هذا السقوط يصر علي توظيف الموت من أجل الحياة ، فالجسد الذى هوى مثخنا بالجراح يصير معبرا لقوافل الخير و طلائع الحياة القادمة ... ان رمز الحياة لا يموت ... إننا نسمع رجعه و صداه عبر و قائع السنين و الدهور منشدا و مناديا

قطر الندى ..... أنا هنا منارك

بوصلتى ضوء يدى
و مهجتى مدادى
مازلت أعير السنين و السنين
لا الطعن عاقنى و لا المهاجمون

ما أروع الصمود العنيد و التحدى الشجاع و الإصرار على المقاومة و عدم الانكسار أو التحول و لكن ذلك يتطلب صبرا جميلا و تحملا لا طاقة لأحد به إلا القليل ... القليل الذى وعى غاية الحياة وحكمة الزمان و الوجود .... إن عنصر الصمود الواثق يمثل الوتر الأعلى نغمة في قيثارة " بيومى " ، **فعطاءات الرمز البطل الصادق لاتذهب سدى** وما كان أى عطاء صادق أن يذهب سدى حتى في أحلك أزمنة الجحود و النكران فذاكرة الشعوب قوية ووجدانها خير أمين وحافظ لسيرة فرسانها و أبطالها الذين ما ابتغوا إلا الحق و الحرية :

الفارس يسقط في الميدان
حوعانا جوعانا عطشان
كى يعبر قنطرة الدنيا فوق الأنسام
يجتث جذور الظلمة من صدر الأيام
يسكت كى تنبت حرية
كى تنبت حرية

ذلك هو "آدم " الحقيقى و ذلك هو كل " آدم " حقيقى الباعث لصورة الوجود الإنسانى الأول حين كان الإنسان متألقا يمارس مهمة الاستخلاف و الخير و العطاء ، المهمة التى من أجلها كان موجودا .. إن الشاعر يمجد موقفه و يعلى من شأوه و يلح على إبرازه بملامحه ذات الإصرار اللامع بوميض الأمل الماحق لدياجير الظلام .

ملكيتى ..... تفينى ظلال أعماقى وإن تكالبت بك الرياح
لاتجزعى ....فاننى آت مظهر الجناح

كطائر الأشواق
وعندما تكمم النيران اوتارك
لا تيأسى وداومى الإشراق
لأننى أخوض رحلة الإمل
بدفة أصيلة

إن أيقاعات قصائد بيومى تثبت حضورها بوضوح بحيث لا نستطيع أن نغفل انسيابها الآسر ، ووقعها الذى يكاد يقترب اقترابا حميما من موسيقا القصيدة العربية ، هذا التواجد و الحضور الذى يمنح درامية القصيدة ـ موسيقاها لتتضافر مع الصورة الكلية للقصيدة معمقة لكل ما هو شعرى و سامية بالمتلقي عن نثرية باردة أو مراوغات لغوية خادعة ونأية به عن توهيمات فلسفية و الآعيب سريالية خاوية من المفترض ألا يكون مكانها ديوان شعرى .... و علي قدر الانغماس شعريا تأتى الصورة أعمق إبداعا و أشرق جدة و تألقا ، كتلك الصورة التى تطالعنا من قصيدة " جزيرة الحب "

حين يشب الصدأ الشجرى الينا
وتعز الكلمات
نبحث في قلبينا عن مخزون الحب
فنلقي اليرقات
وقد أصبحن فراشات علي دربينا
فتعود لقلبينا الكلمات

وأيضا قوله :

أنسجة الحب تلف جزيرتنا
ونراجس قلبي تملأ انفاس حبيبي
وغنائي يأخذ نضرته من حيوية قلبي

أن الشاعر يتعامل مع عناصر فنه الشعرى تعاملا لا تعقيد فيه ولا غموض وهو ينأى عن رسم تشكيلات مجردة أو مضللة ... وحين يوظف الأسطورى والتراثي فمن الأجدى أن يأتى التوظيف ليمنح التجربة مزيدا من حرارة الدلالة و

العمق ويستقطب انتباه المتلقى إلي حقائق أكثر شمولية وانسجاما عبر الزمان يقول في قصيدة " سجاح " :

لآ أطمع في الزمن الأحدب
لاأملك أن أرتد عن المشرب
كم حاولت ! ولكنى إستعذب أمواج الردة
داست فوق العين خيول سجاح الأولى
نالت مني ..... أخذتنى لبحور و بحور
حتى أصبحت أجيد فنون سجاح
وسجاح الأولى القت و تخلت
" وتثاقلت لما رأت كلفى بها أحبب الى بذاك من متثاقل "

ويقول فى قصيدة " عصا موسى " ـ مخاطآ وطنه :

لا تحزنى ....هذه " أفاريس تغوص ... تحتضر
تلفظ الأنفاس تحت " أحمس "
ماتت مدينة الظلام
أنك النهر الذى امتص الجراح
وعندما جاءت روافد الشرور
كنت " عصا موسى " تفور
تزأر عند الحشد : سحقا لمدائن الظلام

أما عن العلاقة الحميمة بين الشاعر و البحر فهذه العلاقة تكاد تكون لازمة من لوازم الفن البورسعيدى نفسه ... فالبحر مرتبط بوجوده وهو مصدر رزقة الأساسى وهو وحى إلهامه وشاطئ ذكرياته وملاعب أترابه وهو بروعته وأسراره وثورته وهدوئه يمثل جزءا هاما من التكوين الوجدانى والسلوكى لهذا الإنسان ، فلا عجب أن نتهادى عبر صفحات الديوان علي سطحه و تمثل قواقعه ومحاراته و طحالبه ولالئه مفردات القاموس الشعرى لبيومى و غيره من شعراء بورسعيد كالبلاسي و الخولانى ودرويش و الخميسى ... إن البحر لديهم مادة خام هائلة بمفرداتها ورموزها ودلالاتها تتشكل لممارسة فعل الإبداع الشعرى

وفن التشكيل و الموسيقى و الحركة إنه مكون أساسى من مكونات التراث الشعبي البورسعيدى ، و الموضوع المشترك اليومى للإنسان علي ساحل بورسعيد :

كم من اسئلة تتكشف عن شغف في نفسي
تسأل عن موج اليوم كما سألت عن موج الامس
تبحث عن طير البر وعن رمل الشاطىء و النفس المتوحشة
المحمومة تبحث مثلي نضت ثوب الشك
وغاصت في الموج
وباتت تسأل عن طير البر وعن رمل الشاطىء
ما من أجوبة ردت لهفة نفسى
أصبحت أسيرة للموج و صبات البحر تبارينى
ها قدأصبحت طريدا للأمواج
ولا عاصم من قبض الريح و لا راحم .. إلا الشاطىء

ولقد آن لدفة القلم أن توجهنا إلي الشاطىء بعد رحلة إبحار مع ديوان " رحلة آدم " لمحمد سعد بيومى وربما نبحر معه في قراءات أخرى ذات أشرعة أكثر امتدادا ، و صوار أبعد سموقا كما في مسرحيته الشعرية " وينتصر الموت " و ديوانه " الاعتراف " .

هـ ـ مع سامح درويش و " أسئلة للوصول "

هو شاعر مؤرق بالأسئلة مشبع بهواء البحر ورذاذ اليود المشعل للقصائد ، يعشق الترحال في المسافات ، يتمزق شوقا للوصول بمواجيد الشعر إلى ضفاف تعانقه بأحضان الدفء و الأمان ، يكابد الانشطار بين النور و النار ، مستعذبا تأججات الروح ورعشات القلب سعيا للسلام النفسي و الهدوء الروحى .. إنه شاعرنا الطبيب د. سامح درويش .

قد توحى قراءة الوهلة الأولى لإشعاره إنك بصدد عالم من الهيام مع شاعر يعشق النغم و الإيقاعات ، ويهوى أحاديث الحب ومفردات الغزل وسرعان ما تبدأ الأسئله تتوالى من وحى أسفاره و ترحالاته الشعرية فتنبئك ـ أن هنالك موقفا و تشوفا يتخطى حدود جاذبية العزف الشعرى الذى يستغرقنا بعذوبته وجماله ، ويقودنا شىء من بصيرة الرؤية و نفاذة الوعى إلى نوع من توترات الموقف المعرفي ، وديمومات التساؤل الروحى العميق ... فى ديوانه " اسئلة للوصول " ، الصادر عام ١٩٩٨ م ـ تنتظم قصائده تحت عناوين هى : اسئلة للوصول ، هالات اليمامة ، عصفورة الياسمين ، سراب المسافات ، تساؤلات الدم و النار ... ونطوف مع قصائد الديوان ومع فيوضات التطواف الوجدانية ، وتيارات المد والجزر ذات الرؤى المغلقه بالعاطفية ، يفاجئنا الشاعر ونحن في خضم التجربة بأننا داخل مفارقات تقودنا معه إلى مواضع تحفل بحيرة التساؤلات و إثارة طاقاتنا الداخلية ـ لاجتياز مناطق مضطربة بالموانع و الحوائل الشائكة ... إن تجاربه أشبه برياضات الروح و مغالبات النفس المتحرقة شوقا للخلاص و السمو .....تحت العنوان الأول "أسئلة للوصول" ، وفى قصيدة بعنوان "السؤال" يقول الشاعر :

عبر تيه الحروف

يهيم

وعبر مها مهها

وخلال سراديبها
ودها ليزها
سائرا.. حائرا
راحلا.. سائلا
كلما انكشفت
وتبدت له
تتبدل أو تتبدد أوتتوارى
يراوغه وقعها
ودلالاتها
ويظل الوصول
إلي نقطة الكشف
حلما .. بعيد المنال

إنها معاناة الشاعر للوصول ـ بمعاودة محاولات مرهقة لترويض الكلمة وتقييد شواردها أو قنص بعض فتوحاتها بسبر أغوارها بعيدة المنال .. وإذ يعانى الشاعر جراء

تعب من حوار المرايا
ومن روغان الحروف
ومن رحلة ليس يبقى له
- بعدها -
غير حيرته المسترابه

- تظل أسئله بغير إجابة ، فينمو في قلبه شجر الحزن ، ويحتدم في داخله أوار الصراع ، ويعاود الترحال ما بين النور والنار .. نورونار مصدرهما الأول عالمه الذى يتوق للرحيل إليه (نور الكشف ونار المكابدة) ومصدرهما الثانى عالمه الواقعى (نار تناقضات الواقع ونور لغة داخلية مستلهمة من المثال) .. إذن فقد صار الشاعر بذلك :

ما بين نارين .. ونورين
ومابين طريقين

انشطرت اثنين
نصف هارب منك
ونصف ذائب فيك
فهل هذا انشطار ؟

إنها أسفار لعوالم عرائس الفكر وتجليات الوجدان ، ويبدو أن الشاعر قنع من أسفاره هذه ـ بإياب الثنائية التى تثير الحيرة .. ثنائية من حب وعذاب ، نور ونار ، ظمأ وارتواء ... وفى حدود هذه المجموعة من القصائد ، ينتابنى شعور ـ بعد معاودة قراءتها ـ أنها نوع من المونولوجات الدرامية داخل صوت غنائى- تقوم على ثنائية من تيارين يتبادلان حركة عكسية ، تيار الخارج بنيرانه التى تطغى على نوره وتيار الداخل حيث اعتمالات النفس بشواغل عالمها المثالى ، ومن هنا فحيرة الشاعر من تناقضات واقعه ، يوازيه معاناته للوصول إلى ضفاف عولمه ، وتعتمل الإشكالية لتأتي الحركة الطردية لهذين التيارين من الداخل إلى الخارج والعكس .. ولما كان الواقع ذا تناقضات شائكة ، شديدة التعقيد ، فقد آثر الشاعر الترحال النفسى إلى عوالمه المنشودة على ما فيها من معاناة ، الا أن هذه المعاناة أخف وطأة همن معانات واقع لا يجد حلا لمعضلاته ومعادلته وها هو الشاعر فى قصيدة " فى المابين" يحط طائره الشعري في :

منزلة
بين الإقدام ..
والإحجام
بين الإعلان والكتمان
بين الخوف من اللاشىء
وتحدى كل الأشياء

ويجد الشاعر في هذا الدرب الواقع بين دربين شيئا من التوازن والراحة
على ضوء رؤيته الخاصة :

فى المابين ..
نزلت ....
رحلت ...
مشيت....
وأدركت .
أنى في الما بين
توازنـت
كما شئـت

ثم ما يلبث أن يتجاوز الواقع بما فيه من فراغ الانتظار والعديد من الشرور ويؤوب إلي نفسه حيث ما زالت عوالمها محتفظة بكثير من طهارتها ونقائها فتكون أكثر تهيئا واستعدادا لاستقبال "إشراقات" اليقين والسلام .. يقول الشاعر فى قصيدة " يقين الوصول ":

حين تشرق لحظة داخل النفس
تطوى
وتفتح أبوابه المرتجة
هل تفاجئه
وتحل به اللحظة الراجفه
حين يخطو
إلي نقطة
يتحلل فيها التناقض
تنحل فيها المغاليق

وحين يصل إلى هذه النقطة يكون قد اقترب من حدود اليقين :

ها هو الآن عند حدود اليقين خطوه يقترب
واللهيب المقدس يجذبه

وارتعاش النجوم
خطوه يقترب
والمسافة تطوى

وهنا تنكشف للشاعر الرؤى وتبوح "ممالك السر" بأغانيها وأنوارها وينسرب النور " يغسل أعماقه ويبلله" .. إنه الآن عند حدود اليقين .. يقين الوصول .. فى قصائد القسم الثانى من الديوان "هالات اليمامة" ، يطلق الشاعر " يمامات" الحب بغنائيات غزلية يعالج بعضها بأوزان شادية من مجزوءات البحور مثل قصيدته "مر من هنا " :

مر من هنا .. يسعد الدنا
شادن له .. الحسن قد عنا
يسلب النهى .. كلما رنا
نوره شذى .. عطره سنى
حين مر لم .. أدر من أنا

وقصائد هذه المجموعة ليست من قبيل الغزل العادى ، وإنما هى غزليات صوفية يستغل الشاعر مجالها للحديث عن فلسفة الحب ، وأحوال المحبين ومكابدات العاشقين .. يقول الشاعر فى قصيدة "حديث عن الحب":

إنما الحب سوى مشاعر
ليس لنا فيها اختيار
وليس غير رعشة تنتابنا
حين نحب
وانتفاضة تهز قلب العاشقين
وأنه من السماء قدر مسطر فوق الجبين
وأنه جنون العقل
أو عقل الجنون
وأنه فوق الحسابات
وأنه بلا ميزان

ويخاطب الشاعر في قصيدة " غزلية " ـ الحبيبة " الرمز " ويسائلها ملتمسا :

هل لي بجنتك الفيحاء منزلة ؟!

وهل بقرباني الشعري ..

هل أصل ؟

وكما كانت السلافة والصهباء عند شعراء الصوفية ومزا للسكر الصوفى والذوب الإشراقى .. فإن "القهوة" عند الشاعر تكاد تؤدى نفس الوظيفة يقول الشاعر فى قصيدة " قهوة ":

لقهوتنا سحرها / وطقوس تؤدى / إذا جمعتنا معا
نتبادل ما بيننا كلمات
دلالاتها ...
ليس يفهمها غيرنا
ويربطنا
سبب
- ليس ندركه ـ
إنما هو، ياحلوتى
سبب "واصل" بيننا

ثم تأتى قصائد "عصفورة الياسمين" وتدل عناوين هذه المجموعة مثل : وردة /قبلة" و "عصفورة الياسمين" و "ابتسامة" ـ على رصيد "الحب الصوفى" وهو فى حالات النشوى ، ولحظات الرضا والعطاء والفرحة ، أيضا من خلال قصائد ظاهرها حسى وباطنها روحانى مثالى معطر بأنوار السعادة وضياء الراحة واليقين كما فى قول الشاعر فى "وردة / قبلة":

وردة..
فوق شفاه نمت
وارتوت
بالرضاب الشهى

وقد أينعت
فحلت
فى عيونى لما جلت

إن شيئا من رضا المحبوب يسعد حبيبه وقد يغنيه عن كثير مما سواه من أسباب السعادة ومظاهر الفرحة يقول فى "عصفورة الياسمين" :

عصفورتى الحسناء
لاشعر لدى .. ولاغناء
فصدى أغانيك الشفيفة
قد سما فوق الغناء

لقد عاش الحبيب موصولا بمحبوبة ، بكل الحب ، ونال كل الأمانى العذاب ، وأشرقت شموسه مبددة لظلمات الخوف ، وتنعمت الروح بالسكينة
و ودعت القلق ، وأومض الأمل يحرق اليأس لقد صار الحبيب بالفعل فى قلب عالم كان بالأمس حلما مستحيلا بعيد المنال :

فى ظلمة العمر ـ يا ابتسامتها
أشرقت شمسا ـ تلوح ـ مؤتلقة
تبدد الخوف حين ألمحها
فتلمس الآمن روحي القلقة
يومض لي في ضيائها أمل
على طريق باليأس محترقة

وتتناول قصائد القسم الرابع من الديوان ـ تجارب عاطفية ـ تعكس حالات غنية بمشاعر شتى تفرزها هذه التجارب بما تحفل به من متغيرات ومفارقات .. إقبال وإدبار ، لهفة وكبرياء ، خداع ووفاء ، حب وكراهية .. الخ وبالرغم من هذا فإن مواقف الأسئلة ، والتناقض والكشف لاتزال تعن وتتبدى.. فبعد رحلة من الرحلات العاطفية ـ نرى الشاعر يؤوب إلي نفسه متأملا حصاد

رحلته ، وخلاصة ترحاله.. فماذا نجد ؟نجد أنه كان يسير في دائرة:

وهاو ذا يعود بعد رحلته
لنقطة البداية
نفس الأحاسيس التى كانت
وبنفس الرأى .. والرؤية.. والروايه

ويتسائل الشاعر :

هل أضعت العمر
والأيام
فى تجربة
ورحلة مفعمة بالحمق .. والغواية
أم أنها كانت .. بكل مابها ـ
دنيا لها بهجتها .. لها عطاؤها
مداها الخصب .. إشراقاتها

إنه سؤال حائر أيضا .. ويعيش الشاعر حالته ويقنع بالتجربة بما فيها من من توهج وملل ، شك ويقين :

تناقض .. تناقض
يقذف بى لهوة الضعف ودوامات حيرة ؟
أم أنه الحب الذى يقنعنا بعكس ما نراه؟

إن موقف الشاعر المعرفى والسبيل الذى اختاره وصولا لحدود اليقين يكاد يتكرر هنا ... وفى إطار الموقف الصوفى نستطع أن نفسر ذلك على ضوء قوة أو ضعف "الوارد" على مرآة الروح من "تجليات" فحين يقوى الوارد ويتألق ويتحقق "الكشف" تكون"حالات" كالتى صاغتها قصائد "عصفورة الياسمين"، وحين يضعف الوارد ويخبو تكون حالات المعاناة ولحظات الألم المشوب باليأس كما فى قصائد القسم الرابع هذه والتى اندرجت تحت عنوان دال وهو "سراب المسافات"

أى سراب يعترى مسافات الوصول ... يقول الشاعر معبرا عن بعض هذه الأحوال :

وعيونك لا .. لن أستجدى
حبا يتقنع بالصد
دارى.. لكنى ألمح فى
عينك الحب بلا حد
هل غرك أنى مجنون
بالحب وفتنته عندى ؟
أم غرك أنى محترق
بلهيب الصبوة والوجد ؟

ونصل إلى قصائد أخر مجموعة فى الديوان وهى " تساؤلات الدم .. والنار" وفيها يعنى الشاعر بالهم القومى وبعض ظواهر الواقع العربى ونراه يقيم احتفالية على شرف الانتفاضات الفلسطينية بقصيدته "الحمام والسجيل" .. احتفالية تفيض بشعور الحماسة والغيرة الحقيقية ، يؤكد بها مشاعر الأمة حين تعلن رفضها لشعارات العدو الكاذبة ـ عن إمكانية التعايش وعدم قبولها لأوهام سلامه الزائف :

وليقذف الأطفال أحجارهم.. ..
وليأت بالسجيل سرب الحمام
ولتعرفوا قاتل تاريخكم .. ..
ولتخرجوا من حالة الانفصام
ليس صديقا سارق القدس من ... .
أصحابها أو مستحل الحرام
فلتقرأوا ما كتب كفه ... .
على ربوع القدس أن لا سلام

وفى قصيدة "دم على حائط الانتظار" ـ يدين الشاعر واقع العجز العربى إدانة شديدة ويستدعى معها صور المهانة والانكسار حين ضاعت الأندلس وسقطت بغداد

ويهيب بالأمل فى بعث عربى ينمو نبته بدماء الفلسطينى المهراقة وهو يقف وحيدا ، ويختتم الشاعر القصائد بقصيدة "مرثية جواد" ، يصافح فيها بيد ـ زمن المجد والمد العربى القديم الغابر ، ويداعب بالأخرى ـ حلما يرى فيه "الفرس العربى" الذى جاب الأرض تحت رايات الجهاد ـ وهو يبعث براقا:

يجمعنا
ثم يسرى بنا
نحو مسجدنا المستباح
وترجع قبلتنا .. والوطن
هل ترى سيعود الزمن ؟

ويكاد موقف "الإدانة وتعرية الواقع العربى" فى "دم على حائط الانتظار" يستلهم شيئا من نبرة "أمل دنقل" فى "لاتصالح" ، خاصة حين يهيب الشاعر بالشاب الفلسطيني :

لا تبرح مكانك
أو تفاوض
من يقايض باحتمالات انفعالك أمنه
فيروح حلمك
وانتظار الحلم .. أدراج الهواء

ولا تنفك " دلالات الترقى والسمو" التى يؤثرها الشاعر عن الأنسياب فنراها تنسرب بين الحين والآخر فى هذه المجموعة " تساؤلات الدم والنار " مثل : "من دمائهم يهل السنى" ، "وأشرق لهيب الشمس" ، "يخطف النجم المسافر فى المدار" ، "على عرفه هالة المجد تاج" وقوله "سليل السماء" ويقودنا هذا إلي الحديث عن الجانب التشكيلى فى قصائد الديوان بصفة عامة والذى يميل إلى التجريد فى "أسئلة الوصول" و "سراب المسافات" أما "هالات اليمامة" و"عصفورة

الياسمين" و"التساؤلات فقصائدها تأتى غنية بالتشكيلات الحسية المتنوعة ، تحاول إثارت كل مجالات الحس والإداراك الشعورى فى المتلقى لتصل به من حالة "الاستغراق" بكل حواسه" إلى منطقة "الحدس" التى يدرك فيها تفاعلات "الحالات الشعرية" وما يعترى مراحل إنتاجها من معاناة الإرهاصات وآلام المخاض وهذا الإدراك يجعل المتلقى بحق مشاركا المبدع فرحته حين يستطيع "الوصول" إلى ما يصبو إليه من "طهارة اليقين".

و - ديوان "الرقص الغجرى"

للشاعر : السيد الخميسى

ومحاولات الخروج عن النص

احتفى به أدباء مصر فى مؤتمرهم الخامس عشر بمطروح فى سبتمبر ٢٠٠٠ ـ لما له من عطاء شعرى فى العديد من المحافل ، وحركة أدبية نشطة فى بورسعيد .. إنه الشاعر السيد الخميسى ـ أصحبه هذه اللحظات فى ديوانه "الرقص الغجرى" ، الذى أصدره عن دار " المستقبل" فى بورسعيد عام ١٩٨٨م ، وقصائد الديوان تغطى ـ تقريبا ـ فترة أخر السبعينات وعقد الثمانينات ... وبداية يستوقفنى عنوان الديوان بما يشى به من إيجاءات ربما تكون مستدعاة من عنفوان البكارة أو دلالات قد توحى بطزاجة الحياة ، ويمكن أيضا لدال "الرقص الغجرى" أن يشير إلى التجاوب والالتحام بالحس الجمعى ... على أى حال .. حين مارست عملية القراءة ، أحسست أنها ليس من قبيل البكارة أو البراءة الغفل العمياء بل رأيتها تنويعات من الرفض ، وتشكيلات إنسانية متوترة ـ على إيقاعات من رقص غجرى ـ يخرج متمردا على قواعد رقص حدوده معروفة سلفا ، وخطوط حلباته الحمراء لايمكن تجاوزها .. ولكن ما السبيل إلى ممارسة هذا النوع من الرقص الخارج عن حدود النص ؟ .. ببساطة ـ أن نسعى لمعانقة كل ما هو إنسانى يقوى نبض الحياة ، ويدفع مزيدا من دماء الوعى فى شرايين العقل والوجدان ...ودون أن يبدد الخميسى طاقته الفنية بالدخول فى دهاليز التعقيد ومماحكات الآقنعة عمد إلى مواضع الوجع يضغط عليها . بمضع قد يخلف ألاما إلا أنه "يشخص" ويعرض بلا

رتوش .. فى قصيدة "محاورة" يلخص لنا الشاعر طبائع وأدوات ديوانه حين يرفض مقولات من قبيل :

الشعر غموض
أقنعة ودراما
وستائـر
واستبصار فى اللاوعى
و............

..ألخ هذه المقولات ، ويتبنى الشاعر لنفسه ـ قناعة شعرية ـ تؤثر الكشف وتنكىء الجراح .. إن أشعار ديوانه تحاول إمدادنا بطاقة شعرية ، وبصيرة مستمدة من تقاطع البعدين الدلالى والتشكيلى مع أبعاد الواقع .. بصيرة قد يضرها حينئذ التفلسف وتوهن سجون اللغة وأقنعتها مسارات إشعاعاتها .. وهى أمور مرت بها تجارب كثير من شعراء السبيعنات والثمانينات وبصفة خاصة من شعراء "أصوات" و "إضاءة ٧٧" .. يقول الشاعر :

حين يداهمنى قول الشعر
أرفض أن اختبىء وراء قناع
أرفض أن أدفن رأسى
برمال الغيبوبة

فالتحايل على الكلمة لاصطناع مهارات تقنيات هندسية واعتسافها لمجرد ممارسة رياضات عقلية إنما هو نوع من التهوين لمقدراتها وتقييد إمكانياتها ولدروها الإنسانى :

مافائدة الكلمات عموما
إن كان الإنسان المسخ
بهذا الزمن المسخ
ولا أذنين

إن الشاعر يراها عشقا ممتزجا بهموم الواقع والإنسان
.. عشقا نلمحه فى مواضح كثيرة :

أنا الماء المعتق فى
خبايا الآرض
مقتحما شراييني
نشيد الآرض
والشهداء
حقل الحنطة البيضاء
ورد النار
اللغة البدائية

الأرض إذن دم فى عروق بينها ، وأبناؤها قلوب تخفق بنبض حبها وأرواحهم متحفزة للترحال فى خضم مواسم الوطن وعباب فصوله سواء أكانت فصولا لممارسة طقوس الحياة والنماء أم كانت مواسم لقرابين الشهادة ، وكلاهما استمرارية وتوصل ممتاح من نهر الخلود :

يا أيها الوطن المهاجر فى
دماء بنيك
عبابا هادرا بالملح
والعشق المخبأ
والطقوس
أهزز إليك سواعد الفتيان
وامتشق الحقول
لملم بينك
وجهز الأجراس وانتظر الفصول

ويتناول الشاعر "الإنسان" من خلال ثلاث زوايا :

١. زاوية الرفض
٢. زاوية نفى الذات وإحباطاتها
٣. زاوية نقص الموت

ويحتل موقف الرفض والاستهجان مساحة كبيرة من الديوان ، ولذا كان من الطبيعى وضعه عنوانا للديوان متمثلا فى "الرقص الغجرى" فالشاعر يزلزله صهيل الرفض ، ورفضه بالضرورة لايقبل حلول الوسط ويستهجن المواقف الغائمة ولهذا كان "غجريا" يمارسه الشاعر بقوة البراءة الواعية ، وفطرة الصدق الوهاج ، يعمى وهجه عيون الزيف ويطرد خفافيش الشر والظلام :

هذا زمن الركض
زمن الرقص
على الجمرات
الموت
على أرصفة الطرقات هذا
زمن الالحاد
زمن المومسة
البرفانات الغالية
الأفخاذ العارية
وأقراص التنويم

والشاعر لايتقن :

فن الرقص الملكى
لا أعرف
كيف أقدم رجلا مرة
وأوخر مرات
رجلين
لاأعرف ثنى الجزع ولا
لف الخصر
لاأعرف لغة العصر

فلا مناص إذن من ممارسة طقوس الرفض :

لا أملك إلا أن يسرقنى السيف
لا أعرف هذا اللعب الزيف

فالحلبة عندى رومانية
أن تجرح خصمك لا يكفى
بل لعب ..... حتى الموت

وبلغة تستنكر مراسم الكذب واحتفاليات الكلمة المهدرة على منصات البيع والاسترزاق يتجه الشاعر بقاموسه الحاد ليستنطق رمالا عذراء من أودية الرفض - تنادينا :

أنا ذرات واديكم
امنحكم صهيل الرفض
أهديكم ورود النار
واللغة البدائية

وهى ورود محرقة ، ولغة حبلى بالآلم تدفع أحيانا للصراخ :

يا ألهة العصر
الممسوخين القردة
ألعنكم
أرفض أن أنصاع لكم
أرفض أن أطرح
فى القيظ الحارق كى أصمت
أو أراضيكم

أما الزاوية الثانية وهى زاوية نفى الذات فالشاعر يتناولها بإبراز شعور الغربة ومنافى الاغتراب - على مستويين الأول : الاغتراب الذاتى المنسحق بالانكسارات وهو نوع من الاغتراب الجزئى .

وثانيهما : الاغتراب و النفى الكامل بالنفس و الجسد معا .

وفى نطاق المستوى الأول نقرأ للشاعر :

تسنمت تلك الشعاب
الغريبة
فلا النجم نجمى
و لا الماء مائى
ولا الصوت منى فمن افقد القلب

نبض التمنى ؟
انه اغتراب يصل الي حد الغياب :
فيا قطعة من
فؤادى الحزين
متى تسأمين ؟
متى تفهمين ؟
بأن الذى رصدنه النبوءات
قد لا .... يعود

اما المستوى الثانى فتداعياته أشد و أنكى ، فقد يظن المرء أنه حين يصير بعيدا أو يكون منفيا فسوف يطرح خلفه " طين القنوات الراكد " وربما يعثر على نفسه المغتربة في نفسه وربما يأنس " نارا بعيدا عن الوادى المتبل بماء الزيف " ولكنه يكتشف فى منفاه ـ أن صورة الوادى محفورة " بجدار القلب ، وأن ماء القنوات الراكد هذا يسرى في العروق ممزوجا بالدم :

حين اقتلعوا جذورى من
ترتبك المحتضرة
صارت روحى بددا
يذروها الفزع الاخرس
في بيداء الصمت
صارت ذراتى
تتبعثر في صحراء التيه
صارت لا يجمعها الا
قطب التذكار الوحشى

لقد تعرض الكثيرون لويلات تجربة الاغتراب ، و خاصة في بلاد النفط و لكن أصحاب النفوس الشاعرة هم الذين عمقت هذه التجربة من أزمتهم و أمعنت في اشكاليات غربتهم :

و كالملدوغ
أصرخ لاعنا ألمى

وأرفض أن يبيح دمى
جفاة من بلاد القحط لاماء و لاثمر
ويصور الشاعر امتهان كرامة الأنسان فى منفاه حين يصير
طوع إصبع أى نخاس
يبيع ويشترى فينا
يقلبنا
ويفحصنا
يعرينا
ويكشف سوأه الإنسان
كالحملان يخصينا
والزاوية الإنسـانية الثالثـة هـى زاويـة " نقض المـوت " و الشاعر يتناول الموت من خـلال رثـاء الـذات " معنويـا " أو رثـاء ذوات أخـرى رثـاء " حقيقيـا و خاصـة ذوات الشـعراء الذين كانت حياتهم رحلة معاناة مع الكلمـة مثـل صـلاح عبـد الصبور و أمل دنقل و ممارثي به به الشـاعر الـذات معنويـا قوله :
ياعروة يا ابن الورد اجزنى
فأنا صعلوك ثائر
شـاعر
فرسي ينطلق في التاريخ
يدق الأرض
ويقفز أسوار الأزمنة الخرساء
يوما
يذبحنى الحجاج بسوق البصرة
يوما يقتلني مرتزق في
غابات الأرض السمراء
من أجل رغيف مغموس بالدم
وإذا كان الموت بكل أشكاله ، نقيض الحياة - بكل أشـكالها ، فانتفاء الموت و نقضه يكون باستدعاء كل آساليب الحيـاة ،

و معها مظاهر الخصب و النماء و خاصة حين يكون هذا الاستدعاء ، بصورة مفاجئة فيها إصرار الأمل الذى يسبب رعبا للموت:

لا ثمار
لا خبر
ينبيء بأن الريح لاتزال
وأن الأرض لاتزال
تنبت الرجال
وفجأة
ودون سابق انتظار
تزمجر الريح
تهطل الامطار
تظن
أن الريح لم تغب
وأن الارض لم تكن
تخبيء الثمار

وكلما ناء الموت بكلكله ، وأرخى علينا سدوله السوداء ، و ترصد لنا في كل مكان بملامحه الكينبة وجدنا الشعر يتحرك تجاهه - حركة مضاده لينتزع من وسط ركامه و أطلاله ـ معنى الحياة :

حنجرة البوح الجهرى علي كفى
أصرخ ملء ذراعى الممتد
أصيح ....اصيح .... أصيح
يتصدع لدار التابوت
و يرحل جند الليل

و انظر الى الشعر وهو يحاول فعل المستحيل ، فحتى وإن كان الإنسان أو الأمل أو رمز الحياة داخل تابوت العدم نفسه فهو يستلهم و يستحث و يتعجل ـ حرارة الحياة و أنفاسها :

متى يتخلق بشرا
هذا المتكور في
ديجور الرحم المختبيء
وراء الغيم
ومتى يأتينا النهر فتيا
مثل الأمس

إنه استفهام الرجاء الآمل . و ليس استفهام اليأس و الحسرة ...و يأتى النهر الفتى الذى يستحثة الشاعر فيغمر نفسه في مياهه و يعود معافى من أوصابه كما عاد أيوب حين نهل من مغتسله و شرابه :

يغمرنى بالماء السحرى
المرصود
فأعود كما و لدتنى أول أم

ليس هذا فحسب ، بل لأبد أيضا للشعر أن يستشرف و يحلم وهذا جانب هام من طبيعته ورؤيته :

أحلم بالمدن المسحورة
والمدن المنسية
بالقرية
ذات الكوخين
ومئذنة بيضاء
وبرج ...... حمام

فالشاعر بهذا يستطيع أن يطأ قلبه الذى امتلأ بملح الحزن و بالأحجار وبهذا يستطيع أن يجتاز غابات سوداء من الأشجار الذابلة وأودية جافة غاضت انهارها:

يا طفلة الربيع غردى
وخضبي الغناء بالتشيج
فقلبي عاثر الخطى
تلفه لزوجة الملل
وخلف ألف قلعة

• من الحديد و الأحجار

يـرقد الامـل

هكذا ينقـض الشـعر المفعم بـأمل الحيـاة و أطفـال الربيـع ـ ينقـض المـوت و ينفيــه ... و بـــهذه المصاحبـــة لديــوان " الرقص الغجرى " أكون تقريبا ـ قد أشرت إلى أهـم الخيـوط التـى نسـجت منوالـه .... و أثنــاء هـذه المصاحبـة لاحظـت اعتماد الشاعر الى حد كبير على المصدر الشـعرى الحديث و تـأثيره بمعجم و عوالـم صـلاح عبـد الصبـور و دنقـل و حجازى و السياب وهو أمر طبيعي .... لقد كان مـن الصعب علي شعراء الجيل الـذى ينتمـى إليـه الشـاعر ان ينـأوا بـاى حال ـ عن عوالـم هـؤلاء الـرواد ، فقـد كـانوا طلائـع شـعرنا الحديث وكان حضورهـم قويـا و معضـدا بفتوحـات و ارتيـاد آفاق جديدة للشعر : بناء ، و ايقاعا صوتيا و تشكيلا ودلالة و كـان لـهؤلاء الـرواد و تجاربـهم تـأثير كبير علـي جيليـن كـاملين مـن الشـعراء تقريبـا إلـي أن خـرج مـن عبـاءة جيـل السـبيعنات نفـر مـــن الشـــعراء تعـــاملت تجاربـــهم الشـــعرية بحساسـية جديـدة ... فليـس مـن الغريـــب إذن أن نلمـــس تأثيراتهم في بعض قصائد الديوان مثل : " الموت الضائع " و " الموت في وهج الشمس " و " المرأة المدينـة الحلـم " و " مرثيـة القمـر الجميـل " ، ومعظـم القصـائد متوسـطة الطـول تكـاد تكـون مقتصـدة فـي سـطرها الشـعرى ، بـل ان كثيرا مـن سـطورها يتكـون مـن ضربـة او ضربتيـن ، وهـذا الاقتصاد في طول القصيدة و امتداد التفعيلات جنـب الشـاعر كثـيرا مـن المزالـق التـى تتعـرض لـها القصـائد الطـوال ، فالاندماج و الاتساع يمكن ان يشف او يرجى من قـوة نسـج العمل علي الاقـل فـي بعض مواضعـه ... و تسـاهم مفـردات الطبيعة و مصاحباتها اللغوية بشكل أساسى فى تشكيل رؤية الشاعر المجازية مثل : السماء ، النهر ، الريـح ، المطـر ... الخ و احيانا يمزج الشاعر بيـن جسـدانية الواقـع و عقلانيـة

الشعر كما رأينا في قصائد " اصوات من زمن الفجيعة " و " تحول " و " المرأة ... المدنية ... الحلم " لاحظت ايضا تكرار بعض العبارات فى أكثر من قصيدة مثل " الخبز المغموس " " الملح " ، "السيف الخشبي" ، " اللغة البدائية " .....واتطلع الآن و بكل شغف إلى عمل إبداعى جديد انجزه الخميسى ربما استطيع من خلاله أن أدلف إلي عوالمة الجديدة و أقصد به ديوان " مقامات الرحيل " .

الفصل الثانى

أصداف فى بحر الرومانسية

٢- ((أصداف في بحر الرومانسية))

مدخل :-

خمس أصداف من بحر الرومانسية ، التقطها من الدورية الثالثة لفرع بورسعيد و أحاول تأملها ربما حنينا ، أو طلبا لبعض التغيير من أجواء قراءات معينة أو ربما احاول بهذا الخروج - من نطاق دوائر الضيق و السأم إلي شيء من رحابة النفس ، و أعتقد أن هذا التيار سبق أن سبح فيه كل الشعراء بلا استثناء ، خاصة في مراحل الصبا و طلائع الشباب ، بل أن البعض واصل العوم فيه بقدر أو بآخر....... قد يطور أحيانا من أشكال سباحته و درجات أيقاعاتها ولكنه يظل راغبا للسباحة فيه ، يرتاح لانسيابه علي صفحات موجاته الهادئة مؤثرا السلامة بعيدا عن مسابح أخرى غائرة الأعماق ، عاتية الأمواج ، وقد رأينا محمد فايز جلال و المرحوم حامد البلاسى في أغلب إنتاجهما و لفترة طويلة - شاعرين مخلصين من شعراء التيار الرومانسي الذى يعتبر أحد المواقف التى يقفها الفنان ، متخذا أدواتها و سيلة لرؤية العالم و صياغة موقف ما تجاه ظواهره و قضاياه ، وقد يكون لكل عصر مواقفه ، وكل جيل رؤاه ووسائله ، و لكن في كل الأحوال ليس لأحد مصادرة ما يراه البعض من مواقف وما يتوسل به من وسائل ، ويظل الابداع الحقيقي - كما أسلفنا - رهين الجودة و الوصول إلي المتلقي ..... وأتناول هنا هذه التجارب الرومانسية الخمس باعتبارها تجارب فردية لا تعبر عن رؤية عامة أو تجزم برأى بشأن مبدعيها و ما طرأ و ما قد يطرأ علي تجاربهم من تطور أو متغيرات و اترك لنفسي فقط السباحة مع القصيدة و التمس ما أردت التماسه من تغير اجواء و تنويع لألوان التذوق .

١- لقاء جميل مع " محمد طبل "

فنان تشكيلي رقيق ، صاحب ريشة لها ألوانها و ظلا لها البارعة وهو شاعر و كاتب للأقصوصة و الأغنية والزجل ، ربما يكون علي مشارف الستين من العمرأو أكثر و لكنه ذو طاقة فنية تثير الدهشة هذه الطاقة التى احتاجت أكثر من لون من ألوان الفن كى تفرغ فيها شحناتها ، إنه الفنان متعدد المواهب الأستاذ محمد طبل و من رومانسياته العذبه بعنوان " لقاء " لوحة يقول فيها :-

يا حبيبي كان يوم الأمس عيدا للتلاق
و التقينا ، نطفىء الشوق فذبنا في لهيب الاحتراق
واكتوينا ، فمضينا تسكب الحب انسكابا في العناق
وشربنا العشق كأسا شهيا عذب المذاق
ومضينا ، فجرى الدمع التياعا و انتحابا للفراق
وافترقنا في اشتياق ثم اضنانا عذاب الاشتياق
سيظل القلب دوما يا حبيبي في اشتياق للتلاق

يفتتح الفنان الشاعر لوحته الشعرية ..... بنداء " يا حبيبي " _ يستدعى به صورة الحبيب الذى التقاه بالأمس ، واصفا يوم اللقاء " بالعيد " تعبيرا عن الفرحة العارمة التى غشيت لقاء حبيبين متيمين .....ثم تتداعى مشاهد الصورة بتفصيلات هذا اللقاء المفعم بالمشاعر الفياضة مستخدما صيغة الفعل الماضى فى موالاة و استدعاء سريع مطورا للموقف العاطفى ... فالفعل " التقينا " الذى كان غايته اطفاء نار الشوق يقودنا إلي " ذبنا في لهيب الاحتراق إلى و " اكتوينا " فمضينا نسكب الحب " و هكذا ... و يلعب حرف العطف دورا شديد الحساسية في الربط بين هذه المجموعة من الأفعال ، و يقوم حرف العطف " الواو " بدور المنسق و المنظم لهذه المجموعة من العطفيات و حين تنفجر المشاعر يهرول حرف " الفاء " آخذا بفعل آخر يستوعب اللحظة مثل : " التقينا فذبنا " و " اكتوينا

فمضينا " ..... ومع لحظة عذاب الاشتياق التى طالت و تراخت يأتى " ثم " متمهلا كقوله : " و افترقنا في اشتياق ثم اضنانا .... أما الفعل المضارع فقد استعمله الشاعر في موضعين : الأول " نسكب " مؤكدا بمفعولة المطلق "انسكابا "

في محاولة لتثبيت هذه الحالة .... و الآخر " سيظل " مع ظرف الزمان " دوما " ايحاءا بتجدد الشوق حالا و مستقبلا .... و يستخدم أيضا الطباق اللفظى معبرا به عن تناقضات و غرابة أحوال المحبين الذين يعانون العذاب حين ينشدون الراحة ....لقد أكد ذلك استخدامه لفظى " تطفىء " و " لهيب " في السطر الثانى..... وما أحلي مجازات الشاعر و تخيلاته مثل قوله " تسكب الحب في العناق " و " شربنا العشق كأسا " و تلك الصورة التى يشخص بها الدمع " فجرى الدمع التياعا و انتحابا " و تتجمع هذه الصور الجمالية مكونه لوحة لمحمد طبل عن " لقاء " ..... لوحة متفجرة بالحياة و الانفعالات المشحونة .

لوحة تصدر لحنا عذبا حتى وقعة الأخير ، وما اجدر الحب أن يفعل ذلك ، وستظل لك يا أستاذ محمد " دوما " في اشتياق للتلاق

٢- قصيدة

نور الفجر _ لمحمد خضير

في قصيدة من ثلاث مقطوعات ، يطالعنا الأديب الشاعر محمد خضير بنداء يفتتح به مناجاة شعرية هامسة يقول فيها :

يا شعاعا من نور الفجر
يا كل الضى و الآسر
يامن ألهمت
إنى تواق مفتون
قد همت بسحر و عيون
تتحدث كل الأفكار
من لغة الصمت

نداء المطلع يحمل غرضه البلاغى الحب و الاعجاب بشعاع فيه كل النور و الجاذبية و الإلهام ، مصدره حبيب ذو جمال فتان ، لسحره لغة صمتها أبلغ من روائع الوصف ، و فصيح البيان ، و يعيش الشاعر حبه يجنى رطيب ثماره وحلو رضابه بعد أن كان مهموما حزينا أصبح يرويه الحب من رحيق أزهاره ، و يدخل في القلب الفرحة ، ويهز الكيان بالنشوة ....والحب لا يسمى حبا إلا إذا ارتقى بمشاعر المحب ، و تسامى بفكره ورؤيته للحقائق و الأشياء ، فبعد أن كان الحب نورا رقيقا من غلالة الفجر إذا به يصير بصيصا من نور الشمس ، نور الوضوح مشبعا بمشاعر الدفء ، التى تعمق قناعة الشاعر " المحب " بحبه ، و يرى معه معنى للوجود وسببا قويا للحياة:

يا بصيصا من نور الشمس
يا دفء الورد و الهمس
يامن أحببت
أيقنت حياتى ووجودى

في وجودك أنت
يا جذور الماضى و الحاضر
يا أمل الغد
عشقي و إيمانى من أجلك
قد فاق الحد

إن المرء قد يعثر خلال مسيرة الحياة علي قيمة أو معنى تعمق الوجود و تجعل من الحاضر المعاش شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، أصل يضرب بجذوره ليتواصل مع جذور أخرى من قيم الماض و معانيه و فرع يمتد عاليا ، ترنو إليه العيون متطلعة ليانع ثماره تأمل من عطائها الأبهى و الأجمل ، عطاء و قطوف شجرة حب و أمل باثقة صنعها عشق قد فاق الحد .... النزعة الرومانسية واضحة في الحالة التى تترجمها القصيدة بمعجمها المستمد من خيوط شعاع الفجر ونور الشمس ورائحة الزهور و همس الورد ، وفيها النزعه المثالية التى تؤكد عليها الرومانسية و لاحظنا في القصيدة التوسل بالتوكيد في مثل :
- إنى تواق ، قد همت ، قد كنت .... أو التوكيد بفعل يوحى بذلك " أيقنت " أو توكيد الضمير " وجودك أنت " ، مع استخدام المطابقات ومراعاه .. النظير لتوضيح المعنى مثل المطابقة " الماضى و الحاضر " ومن الضرب الثانى قوله " قلبي و كيانى " ، " حياتى ووجودى " ، " عشقي و ايمانى " .... الخ .... و نلاحظ اعتماد صياغة المقطوعة الأولى و الثانية علي الفعل ((همت ، تتحدث ، أضاءت ، فتحت)) في حين إن المقطوعة الثالثة تعتمد صياغتها علي الجملة الإسمية حيث دلالة الثبات و الحضور ((بصيصا ، دفء ، جذور ، أمل .....)) تميل التفعيلات إلى القصر و التتابع ذى الحضور الموسيقى الواضح و المعهود في التجارب الرومانسية ، ومن حيث العنصر الخيالى ..... فعادة تكون القصيدة في مثل هذه التجارب لوحة شعرية متكاملة

ذات لون و صوت و حركة و من السهل إدراك عناصرها إلا أن الصور التى تشكل اللوحة تميل إلى المجازات المطروقة ، وقد تتدخل الطبيعة الرومانسية لمفردات الشاعر في تعويض هذه الناحية ..... و يحمد للتجربة أنها بمنأى عن استعذاب الألم أو التوقيع على ألحان الحزن و الغربة و أشكال المعاناة التى نراها عند الرومانسيين .... انها تجربة تمنحنا السعادة بما فيها من إشراق و أمل .

٣- "طيف وضباب" للسيد السمرى

عرفناه شاعرا رومانسيا يتألق بابه "سمريات" فى ملحق "عندما يأتى المساء" ـ بالأهرام المسائى ـ ولكن "السيد السمرى" هنا فى قصيدة "طيف وضباب" لا يكرر ما قاله الراحلون عن الوجد ...إن العشق السمرى فى "طيف وضباب" ينتزع انتزاعا.... يعبر طرقا جمة وركاما مفجرا بسهام أشعته ليلا وظلمة ... و شاعرنا يشكل بالطيف والضباب لوحة شعرية مراوغة .. إذ إن القراءة الأولى لمشهد اللوحة يجعلك تتوهم أنك تسبح فى فضاء آخر لايمت بصلة إلى واقعنا أما إذا وقفنا أمام المشهد متأملين لبعض الوقت ، فإن موقفنا سينجلى عن قدرة فنية لم يستهويها إغراء اللفظ الشعرى أو تستسلم لإغواء التداعى الشعورى الذى يمكن أن يقود إلى موقف "ضبابى" ...ولقد استطاع الشاعر أن يكبح جماح هذه الاغراءات ليعبر بنا إلى نقطة الهدف .. إلى مناطق الوعى .. فمن وسط "فجر كساه السديم" و "ليل ملىء بالسوارى" وضباب وطرق" وراء السحاب"- يمد الشاعر يدا فنانه فى لحظة مواتية .. .. لحظة تمتزج فيها الريح بالأشرعة ، ليقدم لنا بدره المضىء ونوره الكاشف من خلال صورة لعابرات يتذكرن روعة اللحظة ، فيقمن بتسجيل روعتها حين ينسجن خيوطا حريرية حول أسرة ملائكية بل يرسمن أيضا هتوف الحب وأناشيده التى تطير وتعلو :

لحظة في لقانا ستذكرها العابرات
وينسجن حول الآسرة خيطاحريريا
ويرسمن من مجريات الوتين هتوفا
تطير وتعلو.. وترقى .. وترقى
وتمتد عبر الأثير

إن فرحتنا كمتلقين للقصيدة لا تنبع من مجرد حدوث "لحظة لقاء" قد تخدعنا القراءة العابرة بأنه لقاء عاطفي يمثل هما ذاتيا محدودا ، ولكن مبعث تلك الفرحة هذه البؤرة القوية من النور الكاشف والموقف المضيء الذى صهر جليدا وأزاح أحزان قلوب أرقتها المناحة .. ويلفت الانتباه هذا الأسلوب الجديد الذى يتعامل به الشاعر مع رؤية رومانسية ، إنه يعالجها بالسطر الشعرى الذى يقترب جدا من سطر القصيدة النثرية بل أحيانا يستخدم بعض مفردات معجمها ، ويلجأ أيضا لتعبير مكثف مفتوح التأويل يفتتح به قصيدنه ثم يبدأ ناسجا القصيدة من طيوف وفجر وركام و ضباب وسحب تتجمع وتزدحم مشكلة موقف متأزم إلى حد ما ، سرعان ما ينجلى عن ميلاد بدر رائع يبدد الركام ... إن القصيدة بذلك ليست فى قلب المشهد الرومانسى تماما بل هى على أطرافه يحدوها نزعة قوية صوب عالم جديد.

٤-قصيدة "معزوفة لها"

للشاعر : أحمد إسماعيل الاقطش

في معزوفة رومانسية أسيانه للشاعر الشاب "أحمد الأقطش" نسمع ومن أول وقع للحن المعزوفه ـ نوتة موسيقية عذبة كم تقنا أن تشنف ألحانها أذاننا ، وكم باعدت كثير من المتغيرات والأنواء بيننا وبين عوالمها التى كنا ننتمى إليها ونعايشها في مطالع الصبا وشرخ الشباب .. لقد كانت فعلا لحظات ممتعة ومغايرة حقا تلك التى عشتها مع هذا الشاب الواعد أحمد الأقطش فى إحدى تجاربه الذاتية والتى تذكرنا بعوالم ناجي وشكرى والهمشرى وغيرهم من الرومانسيين الكبار ، حيث التعلق بالطبيعة وتشخيصها ومناجاتها ، واتشاح أجواء القصيدة بمسحة الحزن والألم ، مع شجن التأمل ولوعة الاجترار الذاتي ، يعالج ذل كله ـ قصيدة عمودية توسلت بالموسيقى الهادئة الآسفة أفرازها المنحى النفسى للتجربة ، ورغم عموديتها فإننا لا نستطيع أن ننكر وحدتها العضوية وتماسك بنيانها ، وهو أمر كان يلح عليه الرومانسيون بل إن ذاتية التجربة وحرارتها تفرضها فرضا.. إننا بازاء تجربة وجدانية تحمل كل سمات الموقف الرومانسى الوجدانى وتتوسل بأساليبه وعوائده ، فقد عهدنا الشاعر الرومانسي مضحيا مستعذبا الآلم أن كان في ذلك حياة وسعادة للمحبوب يقول الشاعر في مطلع قصيدته :

لك الناي والقيثار واللحن كله
ولي أن أذوق الحزن من مبسم مر
أنادم صفصاف المساء .. لعله
يواسى فؤادا ذاب من قسوة السكر

والشاعر لا يتعامل مع تجربيه تعاملا سطحيا فيكتفى بتذوق الحـزن ومنادمـة الصفصـاف ولكنـه كعـادة الرومانسـيين الحقيقيين نراه يوغل في عالمه الحزين شيئا فشيئا معمقا ومجسدا لمعانى الوحدة والألم موضوع القصيدة .. فاليوم يمر عليه وهو "مغيب" وأما في الليل "فحلمـه مبعثر " بل إن هذا الحلم الذي يكابد في لم أشتاته نجد " الريح تذوره للطير " .. فتعميـق معـانى الألـم إذن لايتعاطاهـا الشـاعر بأسلوب تقريرى ولكنه يعالجها بالصورة المتداخلة والممتدة والذى يمتد معها الألم والوحدة فبعد تناثر حلمه يقول :

ولو أننى أدرى إلى الطير مسلكا :
ولكننى كالصخر فى الواحة القفر

.. وهكذا حتى يصير شاعرنا نتيجة إمعان الألم واعتيـاد معايشته وكأنـه قد اكتسب مناعة إزاء البؤس والحرمـان الوجدانى وصار علما ورمزا للضياع ..

يقول شاعرنا :

إذ غاب عني الحلم لم أغد بائسا ...
فقد عشت فى دنياه حينا من الدهر
وإن ضاع قلبي في متاهة دربه ...
أيعثر في الدنيا علي أحد غيري !؟

ورغم هاتيك المعاناة ، وتلك الآلآم يؤكد الشاعر علي إخلاصه لموقفه الرومانسي ، وإعلان حبه متشبثا به ، ولذا نراه يختم قصيدته بعطاء وتضحية أسخى وأكرم مما بدأت به

لكي الناي والقيثار والعمر كله ...
ولي أن أرى حلمى .. وألقيه في النهر

لقد استمتعت حقا بتجربة تعلن عن شاب يتنفس شعرا وتنثـال لموهبتـه المعـانى والقوافـى طائعـة مروضـة فـي غير تعسف أو تكلف ، بل إن روحه الشاعرة تمنح النص مزيدا من الوهج الرومانسـي

حين يطعمه بالمصطلح الصوفي الأشد شفافية ، والأسنى ألقا مثل :"ولي أن أذوق" .." فؤاد ذاب من قسوة السكر".."وهو مغيب" ..الخ ، ومما يمنح العمل حيويته ويجذب المتبقي للمشاركة والمعايشة الوجدانية ـ تلك المهارات اللغوية التي يمارسها الشاعر بتلقائيته الشعرية وموهبته الفطرية .. فهو حينا يراوح نسقه التعبيرى بين الأسلوب الخبرى تارة والانشائى تارة أخرى ، وتتهادي أبياته في انسياب هادىء واع بين الجملة الفعلية والأخرى الأسمية .. وحينا آخر يقدم ويؤخر لجذب اهتمام المتلقى ، وإعمال التخصيص في مواضع يراها جديرة بذلك مثل : "لكي الناي" و "إذا غاب عني الحلم" .. هذا بالإضافة الى أن اختيار الشاعر لمفرداته وصياغته لها لا يقتصر فقط على مجرد تفجيرها للشحنة النفسه ، بل ويمنحها أيضا بعدها الدلالي ، فمن الواضح أن شاعرنا يدرك متي يستخدم لفظته في صيغة النكرة مثل : مسلكا- شوق - سعادة ، ومتي يستخدم لفظته في صيغة المعرفة مثل : الحلم - العمر - صفصاف المساء - حلمي- وذلك بغية الوصول بالمتلقي إلى مراميه الدلالية ... إن بعضا من الهنات البسيطة في موضوع أو موضعين مثل قوله "أذوق الحلم من مبسم "وقوله" حين من الدهر "- والذى لا يتناسب مع حجم الآلم والمعاناة - لايمنعنا إطلاقا من الاعتراف وبقوة بشاعرية هذا الفتى الموهوب وإن لشاعريته مضمارا يعدو فيه الشاعر أشواطا هي أسبق من مضمار سنى عمره !ولاعجب فى ذلك فكم من الشعراء الفتيان والشباب يعج بهم ديواننا الشعرى

.. والرجـاء كـل الرجـاء أن يظـل هـذا الوهـج متألقـا وهذا العطاء موصولا غير ممنون .

٥- وقفة مع قصيدة "الرسالة الأخيرة للفارس الذى " قهـــروه "
(للشاعر / محمد عبد الهادى)

أحاول أن اتخللك
وأن أعبر في عينيك الجملتين إلى أحلام سعادتى المفقودة
تعانقنى شطأن الفرحة
وتقبلنى النوارس البيضاء على وجنتى التى اشتهت دوما لقاء الموجات
أه يا "ابتسام"
أحبك مرات ألف ،
حين يميل البدر على شارعنا الطويل ، يوشوش شجيراته الناعسة ، ويداعب ظلينا المتوحدين
وأحبك مئات الألف
في زخات المطر التي عشقتها وريقات الكافور الدانية من جسدينا
على طول الطريق
أحبك ..
وأخاف من المماليك المصطفين هناك ، يحمل كل منهم سيفه وينتظر
وأنا - الفارس المقهور - وحدي
أغالب فيك انهزامى
وأحاول الخروج من بوابات الزمن الغادر
فأضيع

تكاد قصيدة النثر ترفع ألويتها وتفرض مشروعيتها فوق ساحاتنا الشعرية ، وذلك من خلال تجاربها الكثيرة ومحاولاتها المتعددة التي نطالعها تقريبا كل يوم والتي لا

تكف عن طرح تساؤلات وخاصة وقد صارت الشكل الأمثل توأفقا وتعبيرا عن جيل الشعراء الشباب و منهم شاعرنا محمد عبد الهادى .. ففي قصديته التي بين أيدينا يتخذ الشاعر من الحبيبة وعينيها الجميلتين رمزا للخلاص وبوابة يلج منها منشدا عالما انسانيا يستطيع أن يحقق فيه " أحلام سعادته المفقودة " ، تعانقه " شطان الفرحة " ، وتقبله " النوارس البيضاء " .. أو حتى مجرد عالم يمارس فيه الانسان أبسط حقوقه ومتطلبات انسانيته - مفارقا به واقع يموج بالقهر والذاوت المنهزمة ، ويكاد يستحيل الخروج من بوابات زمنه " الغادر " - حيث " المماليك " يصطفون على كل مسالكه ودروبه ، يحمل كل منهم سيف القهر متربصا لسحق هامات متحرقة للفرار من ضرورات الخوف وقيود القسوة .. أنه عالم لا انساني محاصر ، كتبت فيه السيادة للكذب والنكران ، ويكاد يفتقر الى أحد يفدي أحدا أو مضحيا لينقذ فارسا مصلوبا تكسر سيفه وتحطمت قوائم جواده علي صخور واقع قاس سمته الجحود .. عنوان النص وهو علامة دالة وبؤرة ينبثق منها النص يصل بالسطور الشعرية إلى حالة دائرية من الوحدة والاكتمال مؤكدا علي ما بدأ به وما تطرحه إيحاءات ودلالات العنوان... وتعتمد القصيدة علي الصورة الشعرية المحمولة علي متون الجملة الفعلية ذات الايقاع النفسى الهادىء ، والمفردات الحالمة مثل : يوشوش - الناعسة - وريقات ...وعلى الرغم من ان تناول السطر الشعرى فى القصيدة يحاول الاقتراب من سطر القصيدة الحداثية إلا أنه فى الحقيقة لم يستطيع الإفلات من إسار التفعيلة ونستطيع ان نتبين هذا بالإنصات إلى الأداء الصوتى للسطر الذى يمكن تقسيمة إلى عدة تفعيلات تقترب فى توازنها الإيقاعى ......

والنص يعالج مضمونا ذا إشكالية حداثية إلا أن الموقف الرومانسى يسيطر على الشاعر فى هذه القصيدة ـ روحا وصياغة وتناولا ولا بأس فى ذلك طالما نلمس وضوح الموهبة فيها خاصة وأن الشاعر يكتب بالصورة والمجاز لدرجة تدعونى للقول السطر التصويري وليس مجرد سطر شعرى أو نثرى ومرحبا بالشاب محمد عبد الهادى سواء أكان رومانسيا حالما أم حداثيا متسائلا .

الفصل الثالث

النص الحداثى

النص الحداثى ..

مدخل استكشافى

نجحت قصيدة الحداثة فى أن تجرى لنفسها تيارا فى بورسعيد إلى جنب تيارات أخرى وذلك بفضل جهود متعددة منها ما قام به بعض الرواد الذين خاضوا من قبل تجارب وأشكال سابقة وأجادوها ، بدءا بالقصيدة الكلاسيكية وانتهاء بقصيدة النثر التى يتعاملون معها محاولين محاورتها وإقامة جسور اليها ، خاصة من ناحية الانعتاق من قيود التفعلية مع الاحتفاظ بمنطقية الدلالة ، والاتساق اللغوى ، واستقرار حركة الصورة الشعرية فى أكثر الأحيان...... رأينا ذلك عند رائد كبير كالخولانى ، وهو شاعر متمرس يتعامل مع الأمور بحذر ودون اندفاع ، ثم يأتى الجهد الأكبر على يد جيل تال من أجيال مبدعى المدينة يتقدمه الشاعر ابراهيم أبو حجة ومن تلاه من اصحاب أسماء اشتهرت بالتجريب والكتابة بلغة جديدة وصياغة شعرية من نوع خاص نذكر من هذه الأسماء ـ على قدر ما تسعف الذاكرة : محمد النادى ، أحمد عبد الحميد ، صلاح زكريا ، السيد منصور ، أحمد السيد ، سعد الذكى ، أحمد عزت ، أشرف خضر ، أحمد سالم واسماء أخرى .... ومع توالى قافلة الحداثيين تفاوتت تجارب قصيدة النثر ـ حنكة ودراية وفهما لطبيعة هذا النص .. وقد يتوهم لاعتبارات منها ـ النثرية ، والخروج على لزوميات ما يلزم ،وتحطيمها لكثير من القواعد والاطر ـ أن تعاطيها أمر جد يسير ، فى حين تقول بعض إبداعات شبابها المثقف أن التعامل معها جد عسير ، فالمبدع الذى تبنى النص الحداثى صوتا وأداة ـ وجب على الأقل وبحكم الطبيعة النقيضة لهذه القصيدة أن يكون لديه فكرة عما سبقه من

موروث ومفاهيم شعرية حتى يعرف أثناء ممارسة فعله الشعرى إلى أى موضع ستيوجه المعول والإسيتجه إلى مناطق قد تصير قبرا لصاحبها ! ، وأن يمتلك : نوعا من المعرفة بالكتابة عبر النوعية ، ومهارة فى استخدام المجاز وصنع المفارقة الإيقاعية ، بالإضافة إلى مهارات أخرى تتعلق بالنحت اللغوى وتقنيات الكتابة الجديدة والمونتاج البصرى والصوتى وغيرها من مهارات واعتقد أن بعض ما أذكره أو ربما كله ـ أدوات رئسية لمن أراد ممارسة آلأعيب ومراوغات النص الحداثى ، وخاصة فى أشكاله الآكثر إمعانا فى النثرية .. إن تلك الأدوات تشكل "شعرية" النص الحداثى وبدونها يقع هذا النص فى رتابة النثرية .. إن مكونات تلك الشعرية هى "بلاغة العصر" أو مايسمى "بالبديع المعاصر" ...... إذن فمبدع الحداثة سيجمع بين المثقافة والحرفة والموهبة معا ، وجانب الحرفة والصناعة يحتل وسط ذلك المساحة الأكبر ، فالنص منحاه تجريبى ويموج بعمليات التناص وإعادة الإنتاج والتنويعات الشكلية ، وتلك أمور تحتاج إلى بذل جهد ذهنى واضح .. ومن الحقائق التى يدركها الدارسون للأدب ـ أن طبيعة العصر وظروفه تفرز القوالب والمضامين الأنسب استجابة وتعبيرا ، ومن هنا كانت الحداثة وأدواتها التعبيرية ومنها قصيدة النثر مجالا مشحونا بالقلق والدهشة والتساؤلات وتلك أمور غدت مطلوبة فى الفن للتعبير عن توترات العصر وقلقه بصفة عامة ، ولكن ليس المطلوب الإغراق فى العدمية والعبث ، أو متاهات الغموض وعمايات الألغاز وهى أمور أفقدت الأدب كثيرا من مكانته وانتشاره وخاصة الشعر ، ولأننا لانريد لمبدعنا أن يكون انعزاليا منقطعا - صار من الأنسب أن يطوع خامات الحداثة لظروفنا

ومتواضعاتنا وألايعرض نفسه لكل ماهب من رياح "غربية" وإلاعانى وعانينا معه مغبة رياح قد تكون محملة بميكروبات ضارة .. أن الأمر يحتاج للمعالجة والتحلى ببعض الحيطة والحذر ونقول "بعض" حتى لا نجمد أو نتوقف تحت هواجس الخوف وعدم الثقة .

وفى هذه الصفحات أتناول ثلاث تجارب للشعر الحداثى تمثل نماذج الحداثة من شعراء بورسعيد قد تضمهم ملامح حداثية عامة ، ولكن يظل لكل منهم رؤيته وتفرده وقد نختلف مع هذه الرؤية أو نتفق مع تلك تبعا للاعتبارات التى ذكرتها وخاصة مايتصل منها بأولوياتنا وبالرغم من أوجه الاتفاق أو الاختلاف يظل تناولى محض اجتهاد وتأويل لنص يتأبى ويراوغ ولا يقنع برأى أو تصور نهائى ...... وفى النهاية أود لا أحرم أجر المجتهدين سواء أصابوا أم أخطأوا وحسب المجتهد محاولة السباحة فى مياه تكتنفها المحاذير وتحيط بها الآخطار .

١- "فى ضوء هندسة الفرغ"

لإبراهيم أبو حجة

مع ابراهيم أبو حجة فى قصيدة له مهداة لزميله الشاعر "محمد النادى"
بعنوان : "فى ضوء هندسة الفراغ"
يقدم لنا ابراهيم "مشاهد" تتوالى تحت أرقام من ١الى ٧ ـ صورها الشاعر بكاميرا حديثة معقدة ذلك لأن عدسته الشعرية تعاملت مع أبعاد غائرة وهى عدسة تلتقط وتقوم بعملية المونتاج فى أن واحد ومما يزيد من إمعان المشاهد فى أغوارها أن الشاعر قام بتصويرها "فى ضوء هندسة الفراغ " !!ويعتمد أبو حجة وغيره من مجربى القصيدة الحداثية فى ذلك على علاقات من المجاوزة تقفز فيها المشاهد متمردة على التجاور أو أن يأخذها تداع يدفع بعضه بعضا .. إنها المجاوزة والتقاط المتباعد وترك الأخاديد فيما بينها .. أخاديد قد يسقط فيها أشياء ومنطقيات عدة ألفنا ردحا طويلا من الزمن أن نعيش عليها ونتعامل بها ... ومن هنا فعلى قدر الاجتهاد أحاول تأويل ديناميات أبعاد من فنون قول تشكيلى شحيح الأضواء جم العتمة والظلام ، يكاد يفتقر إلى مفاتيح تروض أبوابه المغلقة ، يؤثر الظلمة أحيانا ليظل نافرا ، متأبيا ورافضا لأى تأويل نهائى ....!
تحت رقم (١):

زجاجة خضراء
تدفع بحرك الممتد نحو الله
كأسا للغواية
فلا يلوذ بالإسفنج غير الماء

وقد تغرينا ثوابت المنطق ومألوفاته بالقول : إن أمواج البحر هى التى تدفع الزجاجة ، ولكن الشاعر يستهدف صدمة الذهن وإنتاج مدلولات مغايرة .. والزجاجة

مدفوعة "كأسا" للغواية .. ولكن أية غوايـة !؟ ... ربمـا غواية القول المتخـابث المتمـاهى ، المـراوغ ، المنتـج من مخاض كتابة معاناة حقيقية ، ذلـك لأن السـاحة تعج بالزجاجات الملآى بالكتابة ولكن أية كتابة ..؟
فى اللقطة ٢

تهشمت الزجاجات ملآى بماء الكتابة
فلم نستبن فى إندفاق المياه المرايا ..
لآن الشظايا
إنغرزت فى لحمنا
فدخلنا دمانا ..
قبلما تبتخر .
أو تبتعلها الشقوق

ويختم الشاعر هذه اللقطة الثانية بحوار قصير جـدا بيـن شخصين مجهولين أو ربما يحادث نفسه مسـتخدما دالـة للحوار وهى العلامة الإملائية (:)

: الزجاجات ملآى بماء الكتابة
: بعضها فارغ
: ربما

إن زجاج الزيـف قد يتهشـم أمـام قـوة الحقـائق وزجـاح الحقائق قد يتهشم ويتناثر إلى شظايا تفجر دمـاء نلعقـها على مضض أمام قوة الزيف إن البعدين جانزين وماثلين ولكنـى أنحـاز إلـى البعـد الثـانى وذلـك وفقـا لعوامـل موضوعيـة يتقـاطع النـص معـها معبرا عنـها بقوانينـــه الخاصة .
اللقطة (٣)

لم تكن القراءة الرشيدة مكنتنى من هواجس
حين هب ١٨ يناير فى شوارع المدن الاخرى
والدم الطازج على جبيرة الساقين
بهيئة طائر ..

لو أننى أطلقته على
سماء مدينتى
إن الشاعر يتمنى لو يطلق طائر دمويا كان نتاجا لآحداث ١٨,١٩ ينـاير فـى سـماء مدينتـه ... إن أمـانى الشـاعر يعتريها ضباب هو اجس قراءة رشيدة لمجريات الآحداث اللقطة (٤):

كأنما الهواء على أطرفه يمشى ..دونما خف .
يدق الآلة الكاتبة .. تكة .. تكة،.
ليفاجىء الصياغات البليدة فى كتب القراءة سائلا :
كيف يكون الطائر منقطعا عن الهواء وطائر على الورق !؟

يحاول أبو حجة فى هذه اللقطة أن يوجة أشعة قوية من الليزر بؤرتها مثبتة بعدسة كاميرته ليقشع بـها ضبابـات كثـيرة مـن الزيـف ومقـولات أبـواق المنـافع المتحفـزة ، ويتحرك الشاعر بحذر متخفيا وراء (هواء يمشـى علـى أطرافه دونما خف) ، يدق به ألة كاتبة ذات انتاج مضاد ـ دقا مثيرا يدحض به أكاذيب وأباطيل الأبواق العالية ثم يأتى المشهد الخامس إدانة قوية للتسـلط والقـهر مشـهد داكن تكتنفه ظلال الخوف وتملأ زواياه مشاعر الرعب رعب يجسده الشاعر بصورة ذبابة تطن بأزيز مخيف .. انه إيقاع الموت .

يقول أبو حجة فى هذه اللقطة :
الآفق الذى اتهمنا بزرقته
لم يكن لنا
ولم يكن بالغرفة التى كنابها ندخن ، أو نثرثر.
بينما التاريخ كلب راقد بالباب
قد يقدنا من الآسى الشخصى
أو يغرى بنا

فنفزع
والآزقة لم تزل فى عشوها الليلى
تطن بالإيقاع
مثل ذبابة الموت.

أمـا اللقطـة السادسـة فيغلـب علـى مشـهدها - كثيـب رملىناعم - ومن إيحاءات الرمل (الكابوسـية الخانقـة) التى تجمـد الفكـر والـروح بانديحاتـها المرعبـة ... وهنـا تلملم الكلمات أطرافها محاولـة الإنفـلات مـن الكـابوس ، لتطير فوق بحـيرة مـن الدمـع الإنسـانى ربمـا لتستنشق بخاره ولذا يتمنى الشاعر لو تحط هذه الكلمات المشبعة ببخار هـذا الدمـع - علـى أمسيات شـعراء تنـزعهم مـن غفلة سادرة وأن تكون هذه الكلمات مياها طاهرة تسقط فتغسـل كثـيرا مـن القواميس والمفـاهيم..... ثـم تـأتى اللقطـة الأخـيرة مكثفـة بخـبرة مـامضى مـن ممارسـات الالتقاط يخاطب بها الشاعر صديقه محفزا ومحرضا إياه على مواجهة الجمود والاستمرار فـى الكتابـة ذات النقر والوخـز .. الكتابـة التـى امتـلآت بـها مـن قبـل زجاجـات خضراء فلابد يوما أن تنجح المياه فى دفعها لتصل إلـى بر الآمان دون أن تتهشم .

وتترائى اللقطتان الأخيرتان أمامنا هكذا :

٦-طارحت المداخل ظلها
فانداح للعتبات رمل ناعم
- رمل العشيرة-
لملمت أطرافها الكلمات - ساخنة -
وطارت فوق بحيرة من دمع آدم
لو تحط على مساء الشعر
وتغسل القاموس
٧- حين تصحو
كى ترتب غرفتك الآثيرة

فى ضوء هندسة الفراغ
لاتدع الهواء مكدسا كالكتب
ولا الشموع ..
أصابع اللغة الآكيدة
تنقر الدف
فتوقظ الضالين فى
رأسى

وهنا أترك القارىء بعد أن أدليت بتأويل لقراءة اجتهادية - ليمارس بدوره تأويله الخاص به ..... والغاية التى نبغيها هى التعدد والتعود على احترام سماع صوت الآخر وإثراء حياتنا فكريا وفنيا .

٢- القصيدة ضد الآلية وأناقة النمطية
"هدفون وعمل"
للشاعر محمد النادى

فى قصيدتيه :"هدفون" و"عمل":
ألمح "محمد النادى" وقد تجهم وجهه بمشاعر من "الرفض" و"القرف" إزاء سلوكيات مجتمعية حولت الكثير من الناس إلى نماذج آلية وأشكال نمطية فقدت كثيرا من إنسانيتها تحت قسوة لغة الأرقام وجمود الروتين الرتيب وضجيج الأجهزة الحديثة .. فى قصيدة "هدفون" نجد شخصا ما هائما فى الشارع لا يلفت انتباه أحد من المارة ، يتعرض له "كاوبوى" يعتلى ظهر حصان يمسك بسوطه ، يعلم هذا الشخص كيفية السير الآلى ، الملتزم وخاصة فى ميدان عام !.. الشخص يحاول الهروب على الأقل معنويا إلا أن الحصار وظواهر الكآبة تنفذ اليه مطاردة إياه وهو يمارس فعل الهروب من خلال "هدفون" معلق فى أذنيه يقول النص :

لآن أحدا لم يعره اهتماما
غير "الكاوبوى" الممسك بالسوط الميدان
أعلى ظهر حصانه
ليعلمه كيفيه المشى
فى ميدان عام ...
أو بائع الجرائد الذى نادى عليه
كأنه يعرفه ، ملوحا له
بملحق المهرجان .
....
....
كان لابد من وضع أذنيه
فى صوت المغنية العجوز التى همست
وهو يهبط السلم ذا الدرجات

التسع ، صباحا /بينما/ تحشرجت فى حنجرتها / أنه مكتوبة

قد يبدو النص حياديا يشير إلى مشهد عـادى نـراه دائمـا فى الشارع إلا أننى لااطمئن لحياد أحد وأبرأ بالحياد عن أحد لأن الانحياز طبع البشـر حتـى لـو كـانوا عـاديين ... هذه نقطة ونقطة أخرى تتعلق بالسؤال : فى أى مدار أو مدارات يسبح محمد النادى بستالايت نصه هل هو يسبح فـى مـدار فـردى محلـى عـادى ؟ أم مـدار فـردى إنسـانى يجنح لتعميم حالة ؟ أم يسبح فى مدار أشد اتسـاعا تمتـد إلـى أركانـه أذرع أخطبوطيـــة مـن هيمنـــة وترويضـات "عولمة"نمطية؟

قد تكون إجابة أحـد هـذه الاسئلة أو كلـها معـا ردا علـى علامة الاستفهام التى هى النـص .. علـى الأقـل اسـتطيع أن اعثر على " إشارات وتنبيهات " مـع الاعتـذار لأبـى حيان التوحيدى ـ تنم عن التسلط " السوط " ـ الهروب " لابد من وضع أذنيه وايضا هدفون " ـ مطاردة دواعى الضجر لإنسان " أنه مكتومة " ـ العولمة المفروضة " كـاوبوى ممسـك بالسـوط " إلا أن الشـــخص الــذى يطرحه النص شخصا عاديا .. يؤكد الشاعر أنـه شـخص غير عادى كيف ؟ إن صياغة هذا الخبر " الشعرى" فى مطلع النص واستخدام الشاعر " لم يعره اهتماما" تؤكد المفـهوم المعـاكس ، الشـاعر ربمـا يريـد القـول : أنـه شخص مهتم ، رؤيوى ، متوتر ، وإنى لآراه كذلـك ففـى النـص التـالى بعنـوان "عمـل"- نـرى "الشـخص" يجـد نفسه وسط حشد من الأصدقاء وصفهم النص كالآتى :

لآصدقاء جدد لا يقرأون الشعر والأدب أمريكا اللاتينية يصففون رؤوسهم ـ خلسة فى مرآة الحمام يتقنون رباط العنق

. وينامون قبيل منتصف الليل تقريبا

، حتى تتمكن أحلامهم
من خلط ليل ما بيوم ليل آخر
مثل مشروبهم الصباحى المفضل
... الشاى بالحليب ....

وبعيدا عن المفهوم القديم للـهجاء يقوم الشـاعر بعمليـة هجائـه الخـاص بنـبرة هادئـة يخفـى هدوؤهـا مشـاعر السخرية إزاء نماذج نمطية ظواهرهـا أنيقـة ومهذبـة إلا أنها لا أقول مسطحة أوتافهـة ، وإنمـا فقدت الكثير من حرارة الإنسانية تحت وطأة روتين مكرر وحرفية مقننـة فى اتجاه واحد لـه علاقـة بمفـاهيم النفـع وسـطوة المـال والربحيـة .. إن أقصـى مـا تملك هـذه النمـاذج الانيقـة أصـابع تجيـد الركض والتعـامل بمـهارة مـع اللوحـات والشاشات فى المؤسسات المالية والتجارية وما أشبه .. و(شخصية) الشـاعر لاتعدم هذه المـهارة ولكنـها تظل محتفظة بإنسانيتها ولـذا نـراه يتمرد على آليـة برنـامج يومـى قد يكون معد سلفا لسـحب " رصيـد" إنسـانية الإنسان .. إن الشاعر حين يظهر لهؤلاء مهاراته التقنية لا يكتفى فقط بعرض أرقام جامدة على شاشـة الكمبيوتـر ولكنـه يمـارس تحليلـه (الإنسـاني) لـهذه البـرامج والآرقام:

لذا وإنما إساءة لمغامرة الزمن المحسوب بدقة
سوف أهلل مبسوطا
لعضوية هذا المكان..

....

أيها الاصدقاء
لست أقلكم براعة فى الركض بأصابعى
على الكى بوردكما تصور بعضكم للوهلة الاولى
عندما أدخلنى الله فى التجربة
رافعا رأسى متساوية تماما

وشاسة الكمبيوتر ..حيث لاشىء
سوى نقطة الضوء المتحركة بين عينى
وأرصدة فقراء العالم الثالث
الذين لايمتلكون سوى بضع إشارات
ضوئية لاتتجاوز
شاشة الآلة الحاسبة

النص يتعامل مع جزئيات أو قل مع حالات الا أنه مع استغراقة فى الجزئية ومن خلالها ينفجر بضدية تجاه قيم وظواهر انسانية وعامة تتعدى اليومى والجزئى ... إنه نص مضاد للآلية وتحجيم الإنسان تحت أى صورة من الصور واترك هذه التعبيرات للتأمل :

"يصففون رؤوسهم" ، "خلط ليل بيوم ليل أخر" "سوف أهلل مبسوطا" ...وسوف اهلل أنا أيضا مبسوطا إذا خفف شعراء القصيدة الحداثية من غلوانهم فى إقحام اسم الجلالة "الله" بمناسبة ودون مناسبة فى تحاربهم للايحاء بالتمرد أو التحرر أو الثورية أو القدرية ... ألخ ، وأقول لهم : ليس كل ما أتى من الغرب يسر القلب ... يقول الشاعر :

"عندما اقحمنى الله فى التجربة " وإذا افترضنا وعلى غير الحقيقة المؤكدة صحة هذا الأقحام ، فأعتقد أن شاعرنا ذا الآصابع الراكضة قادر وبجرة قلم على لفظ وطرح هذا كله ... اللهم الا إذا كان الرفض يمارس على الورق فقط !

٣-((انا والخبز و الفئران))

للشاعر أشرف خضر شلبي

العدمية و العبث ، الانقطاع المعرفي ، الموقف الأشد خروجا و تطرفا واعتزالا ، صياغات القصيدة المتجددة التجريب ، المضامين المفارقة للواقع تلك هى سمات قطاع عريض من شباب المبدعين الذى شهر قصيدة النثر سلاحا للتعبير عن واقع عبثى و مأزوم رفعوا فيه راية العصيان و اعلنوا رفضهم لكل ما سبقهم من حلول و مواجهات بدءا بشعراء التفعيلة و انتهاء بجيل السبعينات و يبدو و بحكم نشأة هذا القطاع من الشباب في مرحلة من أكثر مراحل تاريخنا تأزما و اغترابا " تشبه نفقا مظلما " لم يكن أمامهم سوى بديل واحد هو المواجهة بالتحطيم و التفكيك لكل الأعراف و القواعد الفنية التى يمكن أن تتوسل بها القصيدة بدءا باللفظة المفردة و انتهاء بتشكيلات الصورة السريالية و تقنيات الكتابة السطرية المفتوحة التأويل و الدلالات ..... وفى واحدة من هذه التجارب في " قصيدة انا و الخبز و الفئران " يختزل الشاعر " اشرف شلبي " الواقع العبثي المحيط به في :

بقايا تبغ
لقيمات من الخبز الجاف
ثم قليل من حبيبات كريستالية

ذلك هو عالم الشاعر الذاتى الضيق شديد البؤس و الظلمة ، يتساءل الشاعر :

كم بقى من بزوغ
الفجر الغريب ؟

نعم ..... لأن هذا الفجر الآتى لا يختلف عما سواه ، فهو يعلن عن مزيد من التمزق و البؤس لعالم اعتزله

الشاعر والتمس عالما آخر ربما يجده أكثر ألفة و حميمية ...... إنه "عالم الفئران " و حين ينتمى الشاعر لعالم الفئران التى تقاسمه " خبزه الجاف " و التى :

حين ينفذ خبزى
تدعونى دوما للعشاء

فلابد أن يعلن عن انتمائه لعالمه الجديد البديل ويتحول بدافع غريزة البقاء إلى كائن يتربص بالقطط المتسللة و لا يتورع عن قتلها بكل وحشية إذا حاولت السطو علي عشائه ..... إن المسخ و تشويه الكائنات و تبادل أدوارها صار سمة لبعض قصائد النثر يترجم به الشاعر عالما فقد منطقيته و مبررات وجوده ، حتى النطف الآتية من عالم الغيب يصفها الشاعر في قصيدته بأنها " مترددة " لأنها في رأيه مقبلة علي عالم :

الأزمة و التوتر
جدائل المشنقة

إنه عالم زاخر بالمتناقضات و الجحيم و كل شيء فيه متوقع الحدوث :

الدائرة تضيق فتتسع
تتسع لتضيق
ضاع معنى الاختراق

وإذ ينعكس هذا الجحيم المدمر للذات عليها إلي نوع من التمزق النفسى و الصراع القاسى الذى تكون فيه الذات يوما مع نفسها و آخر علي الجانب المقابل : فلا غرو حنيئذ أن نسمع صوت الانفصام "!

توحد مع الذات
ضد الذات

لقد صارت القصيدة تقريبا بديلا للجنون و كان لابد لها أن تتصدى للعبث بالعبث و العدمية بالعدمية ، وكان لابد أن يكون ملاذ الشاعر في توحد آخر مع " الخبز و

الفئران " ...... تلك رؤية لشاعر من ضمن رؤى كثيرة .... والرؤية الخاصة بشاعرنا قد نتحفظ من جانبا علي أشياء فيها ، ولكننا لا نستطيع أن ننكر شعرية حداثية بارزة فى نصة هذا .... سواء من حيث البناء علي ثنائيات متنافرة أو استخدام للتصغير ، و الانتقال المتوازى بين الجملة الأسمية و الفعلية ، و العبارة المكثفة الحادة ، و الزهد في استخدام حروف العطف ، و التعامل مع المفارقات المثيرة للذهن و التى قد تستفز المتلقى أحيانا ، فجدير بالشاعر ان ينضم لكتيبة الحداثين و يكون وترا عازفا في لحن غنى و متعدد لشعراء الحداثة .

هوامش و ملاحق

ملحق بالقصائد المفردة

قصائد الفصل الثانى
لقاء / محمد محمد طبل

يا حبيبي كان الامس عيدا للتلاق
و التقينا نطفىء الشوق فذبنا في لهيب الاحتراق
و اكتوينا فمضينا نسكب الحب انسكابا في العناق
و شربنا العشق كأسا شهده عذب المذاق
ومضينا فجرى الدمع التياعا و انتحابا للفراق
و افترقنا في اشتياق ثم اضنانا عذاب الاشتياق
سيظل القلب دوما يا حبيبي في اشتياق للتلاق

قصيدة نور الفجر

محمد خضير

يا شعاعا من نور الفجر
يا كل الضي و الأسر
يا من ألهمت
إني تواق مفتون
قد همت بسحر و عيون
تتحدث كل الأفكار
من لغة الصمت

....

قد كنت عصيا مهموما
بالحب هجرت
فأضات بحسك وجداني
حتى وفيت
وفتحت لقلبي وكياني
بالحب عبرت
فشربت رحيق الأزهار
من شهدك أنت

....

يا بصيصا من نور الشمس
يا دفء الورد و الهمس
يا من أحببت
أيقنت حياتي ووجودي
في وجودك أنت
يا جذور الماضي و الحاضر
يا أمل الغد
عشقي و إيماني من أجلك
قد فاق الحد

٣- طيف وضباب

السيد السمرى

ساعة نلتقى ....
والقلوب التى أرقتها المناحة
باتت تضيق ارتصاد العيون
و ما بين صمت .... وومضة همس
تعانق فجرا كساه السديم
شعاع يفجر بالسهم ليلا ملىء السوارى
ويدنى النهاية للطيف
حين تعود النوارس بعد انصهار الجليد
والركام الذى يرحل الان
قبل اللقاء المثير
هل تقول عن الوجد ما قالة الراحلون ؟
ام تسطر ميلادها من مداد الضباب
وتنسى الطريق وراء السحاب
انها الان تبعث بدرا وليد
لتمتزح الريح بالاشرعة
لحظة فى لقانا ستذكرها العابرات
و ينسجن حول الاسرة خيطا حريريا
ويرسمن من مجريات الوتين هتوفا
تطير و تعلو .... وترقى ....وترقي
وتمتد عبر الاثير

(معزوفة لها)
أحمد إسماعيل الأقطش

لك الناى و القيثار و اللحن كله
ولي ان أذوق الحزن من مبسم مر
أنادم صفصاف المساء ...لعله
يواسى فؤاد ذاب من قسوة الشكر
يمر عليه اليوم وهو مغيب
وحين يجيء الليل يخفق فى ذعر
ففى الليل ـ لو تدرين ـ حلمى مبعثر
اجمعه .... و الريح تذروه للطير
و لو اننى إلي الطير مسلكا
و لكننى كالصخر في الواحة القفر
فلا تعجبي ...هذه مزاهر و حدتى
تصاحبنى صماء و الصدر في الصدر
فكيف بصفصاف المساء معزيا
اذا هاج شوق .....أو شفيف من الذكر
إذا غاب عنى الحلم لم اغد بائسا
فقد عشت فى دنياه حينا من الدهر
وإن ضاع قلبي في متاهة دربه
أيعثر في الدنيا على احد غيرى ؟ !
وان غبت عنى .... هل أذوق سعادة ؟
اليس ضياع العمر أقسي من العمر !
...لك الناى و القيثار و العمر كله
ولى أن أرى حلمى .... والقيه في النهر

الرسالة الأخيرة
للفارس الذى قهروه

للشاعر / محمد عبد الهادى

أحاول ان اتخللك
وأن أعبر في عينيك الجملتين إلى أحلام سعادتى المفقودة
تعانقنى شطآن الفرحة
وتقبلني النوارس البيضاء على وجنتى التى اشتهت دوما لقاء الموجات
آه يا " ابتسام "
أحبك مرات ألف
حين يميل البدر علي شارعنا الطويل ، يوشوش شجيراته الناعسه ، ويداعب
ظلينا المتوحدين
واحبك مئات الالف
فى زخات المطر التى عشقها وريقات الكافور الدانية من جسدينا على طوال الطريق
أحبك ......
وأخاف من المماليك المصطفين هناك ، يحمل كل منهم سيفة و ينتظر
وانا ـ الفارس المقهور ـ وحدى
أغالب فيك انهزامى
و أحاول الخروج من بوابات الزمن الغادر
فاضيع

قصائد الفصل الثالث :-

(فى ضوء هندسة الفراغ)

إبراهيم أبو حجة

إلى محمد النادى

١- زجاجة خضراء
تدفع بحرك الممتد نحو الله
كاسا للغوايه
فلا يلوذ بالإسفنج غير
الماء

٢- تهشمت الزجاجات . ملأى بماء الكتابة ،
فلم نستبن فى اندفاق المياه المرايا ....
لأن الشظايا
انغرزت في لحمنا
فدخلنا دمانا
قبلما تتبخر
أو تبتلعها الشقوق
الزجاجات ملآى بماء الكتابة
بعضها فارغ
ربما

٣- لم تكن القراءة الرشيدة مكنتى من هواجسي
حين هب ١٨ يناير فى شوارع المدن الأخرى
والدم الطازج علي جبيرة الساقين
بهيئة طائر
لو أطلقته ، علي
سماء مدينتى

٤- كأنما الهواء على أطرافة يمشي - دونما خف -
يدق الاله الكايبة ....تكه .... تكه ،.
ليفاجىء الصياغات البليدة ، فى كتب القراءة
سائلا : كيف يكون الطائر منقطعا عن الهواء و طائر على
الورق

٥- الآفق الذى اتهمنا بزرقته
لم يكن لنا ..
ولم يكن بالغرفة التى كنا بها ندخن ، أو

نثرثر.
بينما التاريخ كلب راقد بالباب
قد يقدنا من الآسى الشخصى
أو يغرى بنا ،
فنفزع
والآزمة لم تزل فى عشوها الليلى
تطن بالايقاع
مثل ذبابة الموت
٦- طارحت المداخل ظلها ،
فانداح للعتبات رمل ناعم
- رمل العشيرة -
للمت أطرافها الكلمات - ساخنة -
وطارت فوق بحيرة من دمع أدم
لو تحط على مساء الشعر
وتغسل القاموس
٧- حين تصحو
كى ترتب غرفتك الآثيرة
فى ضوء هندسة الفراغ
لاتدع الهواء مكدسا كالكتب
ولا الشموع ..
أصابع اللغة الاكيدة
تنقر الدف
فتوقظ الضالين ، فى
رأسى

هــدفون

محمد النادى

لأن أحدا لم يعره اهتماما
غير الكاوبوى الممسك بالسوط وسط الميدان
أعلى ظهر حصانه
ليعلمه كيفية المشى
فى ميدان عام ..
أو بائع الجرائد الذى نادى عليه
كأنه يعرفه ، ملوحا له
بملحق المهرجان
....
كان لابد من وضع أذنيه
فى صوت المغنية العجوز التى همست
وهو يهبط السلم ذا الدرجات
التسع ، صباحا ..
بينما
تحشرجت فى حنجرتها
أنه مكتومة

عمــــل

لأصدقاء جدد لايقرءون الشعر ولا أدب أمريكا اللاتينية
يصففون رؤسهم ـ خلسة ، فى مرأة الحمام
يتقنون قبيل منتصف الليل تقريبا
حتى تتمكن أحلامهم
من خلط ليل ما بيوم ليل أخر
مثل مشروبهم الصباحى المفضل
...الشاى بالحليب
لذا ،
وإنما إساءة لمغامرة الزمن المحسوبة بدقة

سوف أهلل مبسوطا
لعضوية هذا المكان ...
....
ايها الاصدقاء
لست أقلكم براعة فى الركض بأصابعى
على الكى بورد كما تصور بعضكم للوهلة الآولى
عندما أدخلنى الله فى التجربة
رافعا رأسى متساوية تماما
وشاشة الكمبيوتر .. حيث لاشىء
سوى نقطة الضوء المتحركة بين عينى
وأرصدة فقراء العالم الثالث
الذين لا يمتلكون سوى بضع إشارات
ضوئية لاتتجاوز
شاشة الآلة الحاسبة

أنا والخبز و الفئران
للشاعر / أشرف خضر شلبي

للموت لغات شتى
للموت ترجمان واحد
الموت فى الزمن الخطأ
عار السنين المرة
امتزاج الموت و الحياة
بالنطفة المترددة
الازمة والتوتر
جدائل المشنقة
يا شعوب العالم
ذاك الطعام
.....فانبطحوا
(ليس الشمس فقط تصيب
الجسد بارتفاع درجة الحرارة)
الدائرة تضيق فتتسع
تتسع لتضيق
ضاع معنى الاحتراق
كل المعانى تبلورت
فى بقايا التبغ
لقيمات من الخبز الجاف
ثم قليل من حبيبات كريستالية
توحد مع الذات
ضد ..... الذات
كم بقى على بزوغ
الفجر الغريب؟!
أظنها إن تخطت حدود الكثرة

لحظـات

خبزي الجاف تقاسمني فيه
الفئران الجائعة
حين ينفد خبزي
تدعوني دوما للعشاء
لذلك حين أبصرت
القط يتسلل من نافذتي
المفككة ...
قتلته .

هوامش :
الفصل الأول (عقود من اللآلىء) :-

١- محمد فايز جلال – ديوان "من الأعماق" مختارات من شعر فايز جلال – مخطوطة بالتصوير الضوئي – بورسعيد – يوليو ١٩٩٨م.
٢- حامد البلاسى – "رباعيات خيام مصرى" – دار المستقبل – بورسعيد ١٩٩٧م
٣- محمد سعد بيومى – "رحلة آدم"دار أتون للنشر – القاهرة – يناير ١٩٨٠ م
٤- محمد صالح الخولانى – "أيام الدم .. بورسعيد ١٩٥٦" – مسرحية شعرية – الهيئة العامة لقصور الثقافة – فرع ثقافة بورسعيد – نبراس للنشر ٢٠٠٠م
٥- د. سامح درويش – "أسئلة للوصول" – شعر – المستقبل – بورسعيد ١٩٨٨م
٦- السيد الخميسى – "الرقص الغجري – شعر – المستقبل – بور سعيد ١٩٨٨م

الفصل الثاني :أصد اف فى بحر الرومانسية

القصائد ١ ، ٣ ، ٤ نشرت بمجلة "أصداف"- العدد الثالث ٢٠٠٠م الصادرة عن نادى أدب قصر ثقافة بورسعيد .
١- محمد طبل – قصيدة (لقاء) أصداف ص١٩
٢- محمد خضير قصيدة (نور الفجر)- مجلة النوارس – نادى ادب ثقافة بورسعيد عام ٢٠٠٠م
٣- السيد السمرى – "(طيف وضباب)"ص٢٦
٤- أحمد الأقطش –" (معزوفة لها)" ص١٥
٥- محمد عبد الهادى – قصيدة " رسالة أخيرة للفارس الذي قهروه" منشورة بدورية"ياميش"- المنتدى الثقافي – مركز شباب بور فؤاد – العدد الرابع عشر – بورفؤاد ديسمبر ٢٠٠٠م

الفصل الثالث : النص الحداثى:-

١-إبراهيم أبو حجة – قصيدة "فى ضوء هندسة الفراغ – ص٤٥

٢-محمد النادي _ ~ " هدفون" و"عمل" ص٤٧

٣-أشرف خضر شلبى- " أنا والخبز والفئران" أصداف العدد الثالث ص١٧.



الفهـــرس

تعريف بالباحث

- أحمد محمد رشاد حسانين ـ من مواليد بورسعيد عام ١٩٥٣ .
- حاصل علي ليسانس آداب عام ١٩٧٦ بتقدير عام جيد جدا .
- يعمل موجها بالتربية و التعليم .
- عضو نادى أدب قصر الثقافة ببورسعيد
- له أنشطة أدبية و اجتماعية عدة فى نقابة معلمى بورفؤاد ونادى تجديف بورسعيد ، و مركز شباب بورفؤاد ، و جمعية اصدقاء البيئة
- عضو لجنة الابحاث و الدراسات بأمانة الشباب بالحزب الوطنى ببورفؤاد
- نشرت للباحث العديد من المقالات و الآراء لدوريات مصرية و عربية عدة .

للباحث

دراسات وأبحاث

- عقدة أوديب بين سوفوكليس والحكيم .
- دراسة تطبيقية لقصة "سكون العاصفة" لمحمد عبد الحليم عبد الله . فائزة بالمركز الخامس لمسابقة قصور الثقافة عام ١٩٨٠م
- اتجاهات تاريخ الأدب العربي فى مصر حتى عام ١٩٢٥م

  البحث الفائز بالمركز الثالث — المجلس الأعلى للثقافة — لجنة الدراسات الأدبية واللغوية عام ٢٠٠٠م.
- بور فؤاد أجمل . كيف نحافظ على بور فؤاد من التلوث — ورقة عمل بحثية مقدمة لجمعية اصدقاء البيئة ببورفؤاد .
- مواجهة معوقات الابداع منطلق للتنمية الشاملة — ورقة مقدمة لملتقى الفكر والثقافة الأول فى بورسعيد (آفاق التنمية) — يوليو ٢٠٠١ م

إصدارات " **نوارس** " فرع ثقافة بورسعيد